الوهابيون والحجاز

طائفة من مقالات نشرت في المنار والاهرام

بقلم

السيد محمد رشيد رضا

منشئ مجلة المنار

بمصر

الطبعة الاولى في سنة ١٣٤٤

مطبعة المنار بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين ، وإمام المرسلين ، الذي أكمل الله تعالى ببعثته الدين ، وما أرسله الا رحمة للعالمين ؛ لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وأصحابه الهداة المهديين ، ومن تبعهم في هُدَى الله وهَدْي رسوله الى يوم الدين

أما بعد فقد علم من سنة الله تعالى في خلقه ، مصداقا لما بينه الله تعالى في كتابه ان هداية الرسل الامم تكون على أكملها فيمن اتبعهم في عصرهم والأعصر التالية له ، وكلما تراخى الزمان ، ظهر الفسق والعصيان ، ونجمت قرون البدع ، وفشا التحريف والتأويل ، وكثر ما يكرهه الله سبحانه من القال والقيل ،

وقد قص الله علينا في كتابه من أخبار الأمم مع رسلهم عامة وأخبار أقربهم منا في الزمن وهم اليهود والنصارى خاصة ما فيه العبرة والذكرى لنتقي التهوك[1] فيما تهوكوا فيه قبل أن يقع ، ولنكون على بصيرة من ديننا فيه اذا وقع ، وقد علم سبحانه وأعلم رسوله أنه واقع لامحالة لأن سنن الله تعالى مطردة لا تبديل لها ولا تحويل ، وهو صلوات الله وسلامه عليه قد أعلمنا بذلك لنكون على بصيرة من أمرنا فيه ، ولا يلتبس علينا الحق بالباطل كما التبس عليهم ، فقال « لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » قالوا يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال « فمن ؟ » رواه الشيخان وغيرهما بألفاظ متقاربة

وقع ذلك كله حتى عم البلاد الاسلامية ، والاكثرون من المسلمين يجهلون ذلك فهم لا يشعرون أنهم غيروا وبدلوا ، وحرفوا وأوّلوا ، وأحدثوا وابتدعوا ،

---

(١) التحير والتهور والوقوع في الشيء بغير مبالاة . اه قاموس

وفسقوا عن أمر ربهم ، وأن ما نزل بهم من الذل ، وضياع الملك ، واستيلاء الاجانب على اكثر بلادهم ، عقوبة من الله تعالى على ابتداعهم وفسقهم ، كسنته فيمن قبلهم ، قال الله تعالى في أوائل سورة الاسراء (وقضينا إلى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علواً كبيراً * فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار ، وكان وعداً مفعولا * ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً * إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيراً * عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً)

وان كثيراً منهم ليعلمون هذا بالاجمال حتى ان خطباء مساجدهم ليقولون من أعلى منابرهم : لم يبق من الاسلام إلا اسمه ، ولا من القرآن إلا رسمه . وأمثال هذا القول ـ ثم لايحمل هذا العلم ولا هذا التصريح به على عمل ، ولا على ترك زائل ؛ بل هم يعادون كل من دعا إلى السنة ؛ ويصرون على ما ألفوا من البدع الدينية ، لأنها دخلت عليهم من باب الدين ، وفتنوا بمن عمل بها ممن يلبسون لباس الصالحين ، حتى انهم إذا اعترفوا بأنها بدع قالوا ، انها بدع حسنة ، خلافا لقول رسولهم (ص) « كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » وخلافا لقول الله عز وجل (اليوم أكملت لكم دينكم) وجهلا بكون البدعة التي تنقسم الى حسنة وسيئة لا تكون في التشريع الديني والزيادة في العبادات أو التصرف فيها بجعل ما ليس بشعار شعاراً ، وانما تكون فيما وراء ذلك من الامور الموكولة الى اجتهاد الناس من الاعمال والمصالح الدينية والدنيوية كابتداع آلات للقتال تزيد في قوة الأمة على حفظ دينها ودنياها الذي يدخل في عموم قوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) وكتعبيد الطرق وتسهيل سبل المواصلات للمنافع الدينية والدنيوية

المشروعة ولا سيما طريق الحج بانشاء السكك الحديدية وأمثالها ، وكتأليف الكتب المفيدة في ضبط لغة الدين (العربية) وغيرها من العلوم الشرعية ، أو الفنون العملية النافعة

ومما خص الله تعالى بهذه الامة المحمدية أن الكتاب المنزل لهدايتهم من عند الله تعالى قد نقل بالتواتر القطعي حفظا في الصدور وكتابة في المصاحف ، فلم يضع وان يضيع منه كلمة ولا حرف واحد ، ولم يتغير ولن يتغير منه لفظ واحد ، وان السنة المحمدية وسيرة سلف الأمة الصالح قد رويتا بالأسانيد ودونتا في الكتب بعناية يسهل معها التمييز بين الصحيح وغيره متناً وسنداً ،ولولا هذا وذاك لضاع ديننا كما ضاعت أديان من قبلنا ، حتى أقرب الناس منا تاريخاً ، فقد طرأ على كتبهم التحريف بالزيادة والنقصان والتغيير ، وفقدت أصولها التي كتبت في عهد من أوحيت اليهم وليس لشيء منها أسانيد متصلة بهم

ومما خص الله به هذه الامة أيضا أنها لا تجتمع على ضلالة وانه لا يزال طائفة منها ظاهرين على الحق ، وان الله تعالى يبعث منها مجددين لأمر الدين ، كما ورد في الاخبار المرفوعة من صحيحة وحسنة ثبتت صحة معانيها بالفعل . وقد كان انتفاع جماهير المسلمين بهؤلاء المجددين المصلحين يختلف باختلاف أحوالهم وأحوال أهل عصورهم في العلم والعمل ، والقوة والضعف في رسوخ التقاليد والبدع ،

وكان من أجلّهم في القرون الوسطى قدراً ، وأنبههم ذكرا ، شيخ الاسلام أحمد تقي الدين بن تيمية رحمه الله تعالى فقد آتاه الله من المواهب ما يندر أن يجتمع لأحد من البشر : سرعة الحفظ وعدم النسيان وقوة الاستحضار ، وقوة الاستنباط وقوة الاستدلال ، حفظ القرآن وما روي من تفسيره من الاحاديث المرفوعة وأقوال الصحابة والتابعين ، حفظ كتب السنة وأقوال رجال الجرح والتعديل في أسانيدها ، حفظ ما يُروى عن الصحابة والتابعين وعلماء الأمصار من الآثار في العقائد والآداب الدينية والأحكام الشرعية ، نظر في كتب المذاهب المدونة

وأدلتها ، فكان يستحضر ذلك كله عند التأليف أو الافتاء ، قرأ كتب الملل والنحل ، ومقالات فرق الاسلام وكتب المنطق والفلسفة والكلام والتصوّف ثم تصدى بذلك كله للرد على النصارى وأهل البدع ، وألف في ذلك المصنفات الدالة على سعة اطلاعه وقوة حجته ، ووجه جلّ عنايته لنصر السنة وترجيح مذهب السلف على كل ماخالفه من أقوال المتكلمين والمتصوفة حتى المنسوبين إلى السنة منهم فلم يدع بدعة ولا قوة تخالف الكتاب والسنة ، ولا سيرة السلف الصالح إلا وبين بطلانها وضلال أهلها ، مميزاً بين الحق والباطل ، والايمان والكفر ، والهداية والضلالة ، والطاعة والمعصية ، ولم يقتصر في ذلك على تصنيف الرسائل والكتب الممتعة ، والفتاوي المفصلة ، بل كان يأمر بالمعرف وينهى عن المنكر ، ويناظر المخالفين ، ويستتيب المبتدعة والفاسقين ، لايحابي حياً ولا ميتاً لكبر شهرته ، ولا لكثرة أتباعه ، ولا لضخامة ألقابه ، وكان مع هذا كله من أعبد العباد ، وأفراد الزهاد ، وقد حلّ من المشكلات ، وكشف من الشبهات وفند من التأويلات ، ماعجز عن مثله فحول العلماء ، وضلّ به كثير من المتكلمين والصوفية والفقهاء .

وقد تلقى عنه وتخرج به كثير من العلماء المحققين في علوم الشرع كلها أشهرهم وأقربهم منه العلامة ابن القيم صاحب التصانيف التي نالت من القبول فوق ما ناله كتاب عند الجمهور لأسباب أهمها لين عبارته ، وخفة وطأته على المخالفين ولا سيما بعض أكابر المتكلمين والصوفية

هذا وقد شهد لشيخ الاسلام أكابر العلماء المنصفين ولا سيما حفاظ الحديث بما لم يشهدوا به لغيره من أهل عصره حتى اعترفوا له بالاجتهاد المطلق ، وتصدى لعداوته وإيذائه وصده عن نصر السنة واحياء مذهب السلف الصالح بعض كبار العلماء الرسميين ، المقربين من الملوك والسلاطين ، المفتونين بتأويلات المتكلمين والجامدين على أقوال أمثالهم من مفتهة المقلدين ، حتى كان أقوى ما آخذوه به

تفسير الآيات والاحاديث الصحيحة الواردة في صفات الله تعالى وعلوه على خلقه بما فسرها به علماء السلف حتى أئمة المذاهب المتبعة ، وطلبوا من السلطان استتابته من قراءة هذه الآيات والاحاديث على الناس ! ! فأوذي وحبس في هذه السبيل بما هو معروف في كتب التاريخ ، وظل أخلاق أولئك المقلدين الجامدين يصدون الناس عن كتبه إلى أن أحياها الله تعالى في بلاد نجد بظهور المجدد الداعي الى الله تعالى الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأولاده وأحفاده وأنصارهم من آل سعود أمراء نجد في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر ؛ ثم في نهضة الاصلاح الجديدة بمصر والهند وغيرهما من البلاد الاسلامية في عهدنا هذا من القرن الرابع عشر ، فان كتبه صارت تطبع وتلاقي من الرواج والانتشار عند أولي الاستقلال في الفهم ، والاهتداء بالعلم مالا يلاقي غيرها في موضوعها إلا كتب تلميذه ووارث هديه ابن القيم رحمهما الله تعالى

وكان الشيخ محمد عبد الوهاب رحمه الله تعالى مجدداً للاسلام في بلاد نجد بارجاع أهله عن الشرك والبدع التي فشت فيهم إلى التوحيد والسنة على طريقة شيخ الاسلام ابن تيمية ، وانما كان نجاحه سريعاً بتأييد آل سعود له ومنعهم إياه ممن يريده بسوء ، وما كان آل سعود أقوى شيوخ عشائر نجد وأمرائها ، ولكن الله نصرهم بنصر دينه ، فكان من امرهم ما كان من فوز وفلاح ، ثم من بلاء وامتحان ثم ما كان من رد الله الكرة لهم في هذه الايام ، ذلك بأن أمراء مكة المفسدين في الارض ، الملحدين في الحرم ، قد تصدوا لمقاومة دعوة الاصلاح والتجديد الوهابية من بدء ظهورها ، فأذاعوا في العالم الاسلامي كله أنها دعوة كفر وابتداع وعداوة للمسلمين والاسلام ، وكان مقامهم بمكة المكرمة مسهلا لهم ذلك وصدقهم أكثر الناس الذين هم أتباع كل ناعق ، وسعوا لحمل الدولة العثمانية على قتال آل سعود وهي استعانت على ذلك بالدولة المصرية العلوية الجديدة ، ولسنا بصدد بيان الماضي هنا ، وانما نحن بصدد بيان عاقبة أمرهم وأمر أمراء مكة المعروفين بالشرفاء

أما الدولة العثمانيـة فقد استمرت على معاداة آل سعود زهاء قرن كامل لاعتقادها أنهم يريدون تأسيس دولة عربية قوية تزيل مالهم من السلطان في جزيرة العرب ويتبع ذلك هدم الخلافة التركية ، ثم ظهر لها أن مصلحتها تقضي بالاتفاق مع آل السعود والاعتراف لهم بسيادتهم على نجد وملحقاتها حتى ماكان بيـد الدولة منها ففعلت ذلك ، وعلم بذلك أنها لم تكن تعاديهم لسبب ديني كما كان يظن الجاهلون

وأما أمراء مكة المعروفون بالشرفاء فظلوا على ضلالهم في الطعن على دين الوهابية وافتراء الاكاذيب عليهم ، وكان أشدهم اسرافا في الطعن وفي عداوة آل سعود الأمير حسين بن علي ، ولما خلص أمر الحكم في الحجاز له وحـده بتقلص ظل الدولة العثمانية عنه واعتراف الانكليز واحلافهم بالملك له عليه ظنَّ أن الفرصة قد سمحت له ومكنته من الاستيلاء على نجد وجعلها تابعة لملكه الوهمي فما زال يكيد ويدس الدسائس لآل سعود حتى آل تحرشه بهم ،وإلحاده في الحرم إلى زحف السلطان عبد العزيز آل سعود على الحجاز وإنقاذه من هذا الطاغوت الذي لقب نفسه بالمنقذ ومن أولاده المفسدين

كان هذا الزحف مغريا لدعاة الملك حسين في مصر بتجديد الطعن في الوهابية ومنبهاً لأذهان الناس ، ومرغباً لها في البحث عنهم ، ومعرفة كنه حالهم وحال حسين معهم ، فرأينا أن من الواجب علينا أن نبين لهم ماعندنا من العلم بذلك في جريدة يوميـة واسعـة الانتشار ، فانشأنا بضع مقالات نشرناها في جريدة الاهرام اليومية وفي مجلة المنار ، كان لها من حسن الوقع والتأثير ، ووقوف الجماهير على حقيقة أمر الوهابية فوق ماكان ينتظر ، فعلموا أن هؤلاء النجديين المنبوزين بلقب الوهابية سنيون مستمسكون بمذهب السلف في العقائد ، وبمذهب الامام احمد بن حنبل في الفروع ، وأنهم أشد شعوب المسلمين في هذا العصر اتباعاً ،

وأبعدهم عن الابتداع وارتكاب المعاصي ، ولهذا كان نصر الله تعالى لسلطانهم على الشرفاء عظيما ، ولولا معرفة حالهم لكان استيلاؤهم على الحرمين الشريفين خطباً أليما .

ولقد كان هذا النصر المبين ، مصداقا لقول الله تعالى (والعاقبة للمتقين) ولقوله (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) كما كان سرور المسلمين المستنيرين به دليلا على أن الاستعداد للاصلاح الاسلامي الحق بالتوحيد الخالص وترك البدع والخرافات والتقاليد الوراثيـة الباطلة قد صار الآن أقوى ممـا كان في عهـد النهضة الأولى للوهابية

على أنه لايزال للوهابية خصوم من أهل البدع والخرافات ، ومن المنهمكين في المعاصي والشهوات في مدن الحجاز ، لأن حكومتهم منعت النوعين كليهما ، ولم يكن لهؤلاء حجج فيما مضى الا الافتراء عليهم ، وكان كثير من الناس يصدقونهم فيهم لأنهم لم يعرفوا حقيقة حالهم ، لأنهم يعيشون بمعزل ، وقل أن يسافر أحد إلى بلادهم ، أما وقد أصبحوا في الحجاز فسيراهم الألوف من جميع الشعوب الاسلامية في كل عام ، ويستغنون عن التعريف بهم ، وعن الشهادة لهم

وقد رأيت أن أطبع طائفة من مقالات (الوهابيون والحجاز) في رسالة مستقلة لأنها تعد فصلا من فصول هـذا الانقلاب التاريخي في الحجاز بل في الاسلام ، ليطلع عليهـا بعض من لم يقرأها في الاهرام ولا في المنار ، ففعلت وعلى الله توكلت ، (ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، إن الله بالغ أمره ، قد جعل الله لكل شيء قدراً)

محمد رشيد رضا
منشيء المنار

الوهابيون والحجاز

(١)

لو حدثت إغارة الوهابيين على الحجاز في عهد الدولة العثمانية اقامت قيامة العالم الاسلامي ولرأيت الجرائد العربية في الشرق والغرب والجرائد التركية والهندية والفارسية والتتارية والملاوية تشن عليهم غارة التضليل والتكفير، وتجمع الاعانات المالية لقتالهم بالقناطير، ذلك لما كان لجماهير الشعوب الاسلامية من حسن الظن وقوة الرجاء بالدولة ومن سوء الظن بالوهابيين، أما وقد حدثت في هذا العهد فاننا نرى ضلع الرأي الاسلامي العام مع الوهابيين،لان ما كان خفيا من قوة دينهم واعتصامهم بالسنة ورفضهم للبدع وكراهتهم للسلطة والنفوذ الاجنبي قد ظهر لخواص المسلمين وبدأ يظهر لعوامهم، ولان جميع الشعوب الاسلامية تمقت هذا الرجل الذي تولى أعداء الاسلام في الحرب والسلم، فصرهم على المسلمين واعتمد عليهم في طمعه في خلافة الاسلام وملك العرب تحت ظلهم وحمايتهم، فبمساعدته ومساعدة أولاده استولوا على البلاد العربية التي هي مهد حضارة الاسلام من حدود مصر الى خليج فارس، ويحاولون جعل ما بقي للعرب من عقر دارهم في جزيرتهم المقدسة تحت ظل تلك الدولة التي جعلته ملكا مستبدا في الحجاز، ليهون على أهله وضعه تحت سيادتهم مباشرة في يوم من الايام، وسمت أحد أولاده ملك العراق، وآخر منهم أمير الشرق العربي أو أمير شرق الاردن، ويطمع أن تسميه ملك فلسطين ليخضع لها مسلميها كما آمنها من تعدي الاعراب المجاورين لها

فقد ظهر لجميع شعوب العالم الاسلامي أن هذا الرجل وأولاده هم شر نكبة

نكب بها الاسلام في هذا العصر فصارت تتمنى زوال سلطته عن مهد الاسلام ، ويرى أنه لا يرجى لذلك غير هؤلاء النجديين البواسل الذين صارحهم وبالعداوة والاذى بما جدد من دعاية سلفه الطالح من الطعن في دينهم ورميهم بالكفر ، وادعائه أن الاسلام يوجب عليه قتالهم ، والمصلحة العربية توجب عليه إخضاعهم لسلطانه ، بجعلهم تابعين لمكه ، ومنعهم من أداء فريضة الحج - على ماعرف عنهم من إباء الضيم وعدم الصبر على انتهاك حرمات الله - التي تحكمه ما شاء في إقامة ركن الدين الاجتماعي العام في بيت الله ، وظلم من شاء فيه بالضرائب المختلفة وظلم أهله في كل شيء -- فهذه اسباب الرجاء في النجديين بالاجمال(١) لا حب التوسع في السلطان و تبسط في الملك الذي يرميهم به الشريف حسين هو ودعاته وجرائده من باب «رمتني بدائها وانسلت» ونحمد الله تعالى أن هؤلاء الدعاة قلوا و قلت الجرائد التي تنشر لهم إفكهم وبهتانهم

ولكن بقي من الناس من يسيئون الظن بالوهابية و يظنون أنهم أصحاب مذهب مبتدع في الاسلام ، وذلك بتأثير الدعاية المنتشرة منذ قرن وربع قرن في الطعن فيهم -- و بتأثير انتشار البدع واشتهارها حتى صار بها المعروف منكراً والمنكر معروفاً ، فالآخذون بهذه البدع يعدون كل منكر لها وهابياً ، ويضيفون الى ذلك ما حفظوه من البهتان الذي جدده الملك حسين في جريدته القبلة من رميهم بتكفير من عداهم من المسلمين وإنكار شفاعة النبي (صلى الله عليه وسلم) وتحريم الصلاة عليه وزيارة قبره كسائر القبور ، بل تجرأ حسين المكي وأمثاله على رميهم بالطعن في شخصه الاكمل وتفضيل العصا عليه برأه الله تعالى ولعن كل مجترىء على مقامه الشريف

هذه البهتات كان يرميهم بها أمير مكة وأعوانه في أوائل القرن الثالث عشر للهجرة عند ظهور أمرهم لتنفير المسلمين منهم ، ولما استولوا على مكة المكرمة سنة

«١» وسيأتي بيانها بالتفصيل في المقالتين الثانية والثالثة

١٢١٨ بقيادة الامير سعود جمعوا علماءها وفي مقدمتهم مفتي الحنفية ومفتي المالكية وبينوا لهم مذهبهم وخطتهم في تجديد دعوة الاسلام فوافقوهم عليها وذكروا لهم ما كان أذيع من الطعن الذي أشرنا اليه آنفا فعجبوا وتبرؤوا منه

إننا لم نر أحدا من الهياتين الذين يطعنون فيهم ينقل شيئا من كتبهم ، ونحن في بياننا للحقيقة ننقل من كتبهم ومن كتب غيرهم ولا نقول شيئا من عندنا بغير دليل :

بيان الوهابية لمذهبهم

جاء في رسالة للشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب المجدد صاحب الدعوة يصف فيها دخول جماعتهم مكة مع الامير سعود سنة ١٢١٨ ومناظرتهم للعلماء فيها وإعطاءهم رسائل والده الشيخ محمد عبد الوهاب — انه كان مع علماء مكة الذين حضروا مجالسه حسين الابريقي الحضرمي ثم اليماني وكان يسأل عن أصل هذه الدعوة ويجيبونه فذكر أهم ما قاله الشيخ عبد الله وهو ما نصه:

« فأجبناه بأن مذهبنا في الاصول مذهب أهل السنة والجماعة ، وطريقتنا طريقة السلف التي هي الطريق الاسلم والاعلم والاحكم ، خلافا لمن قال: طريقة الخلف أعلم، وهي أننا نقرّ آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها ، ونكل علمها الى الله مع اعتقاد حقائقها ، فان (مالكا) وهو من أجل علماء السلف لما سئل عن الاستواء في قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) قال : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة »

ثم قال « ونحن أيضا في الفروع على مذهب الامام احمد بن حنبل . ولا ننكر علي من قلد أحد الائمة الاربعة دون غيرهم » الخ (ص ٤٤ من كتاب الهدية السنية والتحفة النجدية)

ثم قال : « وأما ما يكذب علينا سترا للحق ، وتلبيسا على الخلق ، بأنا نفسر القرآن برأينا ، ونأخذ من الحديث ما وافق أهواءنا ، من دون مراجعة

شرح ، ولا تعويل على شيخ ، وأنا نضع من رتبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بقولنا النبي رمة في قبره ، وعصا أحدنا أنفع لنا منه ، وليس له شفاعة ، وان زيارته غير مندوبة ، وانه كان لا يعرف معنى لا اله الا الله حتى نزل عليه (فاعلم أنه لا اله الا الله) مع كون الآية مدنية — وانا لا نعتمد على أقوال العلماء فنتلف مؤلفات أهل المذاهب ، لكون فيها الحق والباطل — وانا نكفر الناس على الاطلاق ، أهل زماننا ومن بعد الستمائة الا من هو على ما نحن عليه — ومن فروع ذلك أنا لا نقبل بيعة أحد الا بعد التقرير عليه أنه كان مشركا وان أبويه ماتا على الشرك بالله ، وانا ننهى عن الصلاة على النبي (ص) ونحرم زيارة القبور المشروعة مطلقا — وان من دان بما نحن عليه سقطت عنه جميع التبعات حتى الديون — وانا لا نرى حق أهل البيت رضوان الله عليهم » الخ

ثم قال : « فجميع هذه الخرافات (أي التقولات) وأشباهها لما استفهمنا عنها من ذكر أولا كان جوابنا في كل مسألة من ذلك (سبحانك هذا بهتان عظيم) فمن روى عنا شيئا من ذلك أو نسبه الينا فقد كذب علينا وافترى ، ومن شاهد حالنا ، وحضر مجالسنا ، وتحقق ماعندنا ، علم قطعيا أن جميع ذلك وضعه علينا وافتراه أعداء الدين ، واخوان الشياطين ، تنفيرا للناس عن الاذعان باخلاص التوحيد لله تعالى بالعبادة وترك أنواع الشرك الذي نص الله عليه بأن الله لا يغفره ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » الخ (ص ٤٦ من الهدية)

ثم قال : « والذي نعتقده أن رتبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أعلى مراتب المخلوقين على الاطلاق ، وانه حي في قبره حياة برزخية أبلغ من حياة الشهداء المنصوص عليها في التنزيل إذ هو أفضل منهم بلا ريب ، وانه يسمع سلام المسلم عليه ، وتسن زيارته الا أنه لا يشد الرحل الا لزيارة المسجد والصلاة فيه ، واذا قصد مع ذلك الزيارة فلا بأس . ومن أنفق نفيس أوقاته بالاشتغال بالصلاة عليه — عليه الصلاة والسلام — الواردة عنه فقد فاز بسعادة الدارين وكفي همه

وغمه كما جاء في الحديث عنه، ولا ننكر كرامات الاولياء ونعترف لهم بالحق وانهم على هدى من ربهم متى ساروا على الطريقة الشرعية والقوانين المرعية، الا أنهم لا يستحقون شيئا من أنواع العبادات لا في الحياة ولا بعد الممات » الخ مافصل به ذلك الاجمال من انكار ما بهتوا به . فمن شاء التفصيل فليطالع (الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية) وهي توزع في مكتبة المنار بغير ثمن

وقد كنت لدى الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر في أوائل الشهر الماضي فذكرت الوهابية وسبب الطعن فيهم وكان من حاضري المجلس الاستاذ الشيخ عبد المجيد اللبان والاستاذ الشيخ محمد شاكر والاستاذ الشيخ احمد هارون والاستاذ الشيخ الظواهري وغيرهم من كبار العلماء فبينت لهم تاريخ المسألة ومن كتب فيها على بينه من المؤرخين عند استيلاء الامير سعود على الحجاز ثم ذهب أحد سعاة سكرتارية الازهر الى مكتبة المنار فجاء بعشرات النسخ من الهدية السنية ووزعت عليهم وقرأ الاستاذ الاكبر ما نقلناه هنا وما فصل فيها مما لم ننقله واعترف بأنه مذهب أهل السنة والجماعة إلا أنه قال : ان حديث « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى » قد أوله العلماء قلت : وهم قد أخذوا بظاهره تبعا لبعض المحققين من علمائهم — أعني الحنابلة — وأزيد أن بعض الشافعية والمالكية حرم شد الرحال لزيارة قبور الصالحين كالامام الجويني والد امام الحرمين واختاره القاضي عياض في شرحه لصحيح مسلم كما نقله عنه النووي فأخذ الوهابية بذلك لهم سلف فيه وليسوا أول من قال به

شهادة التاريخ للوهابية

نكتفي هنا بشهادتين عادلتين لمؤرخين كبيرين نقلا عن العدول المعاصرين لظهور الوهابية واستيلاء أمير نجد بقوتهم على الحجاز

﴿الشهادة الاولى﴾ قال المؤرخ الشيخ عبد الرحمن الجبرتي الازهري في أول

حوادث سنة ١٢٢٧ من تاريخه نقلا عن بعض أكابر رجال جيش محمد علي باشا الذين قاتلوا الوهابية في الحجاز ما نصه :

« ولقد قال لي بعض أكابرهم من الذين يدعون الصلاح والتورع : أين لنا بالنصر وأكثر عساكرنا على غير الملة وفيهم من لا يتدين بدين ولا ينتحل مذهبا وصحبتنا صناديق المسكرات ولا يسمع في عرضينا أذان ولا تقام فيه فريضة ولا يخطر في بالهم ولا خاطرهم شعائر الدين . والقوم (يعني الوهابية) اذا دخل الوقت اذن المؤذنون وينتظمون صفوفا خلف امام واحد بخشوع وخضوع، واذا حان وقت الصلاة والحرب قائم(؟) أذن المؤذنون وصلوا صلاة الخوف فتتقدم طائفة الحرب وتتأخر الاخرى للصلاة وعسكرنا يتعجبون من ذلك لأنهم لم يسمعوا به فضلا عن رؤيته ، وينادون في معسكرهم: هلموا الى حرب المشركين المحلقين الذقون، والمستبيحين الزنا واللواط، الشاربين الخمور، التاركين للصلاة، الآكلين الربا ، القاتلين الانفس ، المستحلين المحرمات . وكشفوا عن كثير من قتلى العسكر فوجدوهم غير مختونين » اهـ (ص ١٤٠ ج ٤ من الطبعة الاميرية) وفيه من فظائع العسكر وفواحشه ما لا حاجة الى ذكره

ومن المعلوم أن جيش محمد علي كان أخلاطا من شعوب وملل شتى ولم يكن مؤلفا باعتبار أنه جيش اسلامي يقيم شعائر الاسلام ويحافظ على فرائضه ويراعي أحكامه في القتال وغيره بل لم يكن جيش الدولة العثمانية المنظم كذلك وهي التي كانت توصف بأنها دولة الخلافة . وأما ظن ناقل الخبر للجبرتي أنهم لا ينصرون وحالتهم ما ذكر فسببه أنه يعتقد أن الفسق يمنع النصر وليس كذلك فان من استوفى أسباب النصر من كثرة العسكر ونظامه وعدته ينتصر على من ليس كذلك

﴿الشهادة الثانية﴾ — ماجاء في كتاب (الاستقصا ، لاخبار دول المغرب الاقصى) للعلامة الشيخ احمد الناصري السلاوي فانه ذكر في الجزء الرابع منه خبر وصول كتاب صاحب الحجاز عبد الله بن سعود الوهابي الى فاس وخلاصة وجيزة عن

أصل الوهابية لا تخلو من غلط ثم ذكر أن سلطان فاس أرسل جواب ذلك الكتاب مع ولده الذي سافر مع بعض العلماء الى الحجاز وهذا نص كلامه (ص ١٤٥ من الجزء الرابع المطبوع بمصر) قال:

(حج المولى أبي اسحاق ابراهيم بن السلطان المولى سليمان رحمه الله)

(وفي هذه السنة) أعني سنة ست وعشرين ومائتين وألف وجه السلطان المولى سليمان رحمه الله ولده الاستاذ الافضل المولى أبا اسحق ابراهيم بن سليمان الى الحجاز لاداء فريضة الحج مع الركب النبوي الذي جرت العادة بخروجه من (فاس) على هيئة بديعة من الاحتفال وابراز الاخبية لظاهر البلد وقرع الطبول واظهار الزينة وكانت الملوك تعتني بذلك وتختار له أصناف الناس من العلماء والاعيان والتجار والقاضي وشيخ الركب وغير ذلك مما يضاهي ركب مصر والشام وغيرهما فوجه السلطان ولده المذكور في جماعة من علماء المغرب وأعيانه مثل الفقيه العلامة القاضي أبي الفضل العباس بن كيران والفقيه الشريف البركة المولى الامين ابن جعفر الحسني الرتبي والفقيه العلامة الشهير أبي عبد الله محمد العربي الساحلي وغيرهم من علماء المغرب وشيوخه فوصلوا الى الحجاز وقضوا المناسك وزاروا الروضة المشرفة على حين تعذر ذلك وعدم استيفائه على ما ينبغي لاشتداد شوكة الوهابيين يومئذ ومضايقتهم لحجاج الآفاق في أمور حجهم وزيارتهم الا على مقتضى مذهبهم

(حكى صاحب الجيش) أن المولى ابراهيم ذهب الى الحج استصحب معه جواب السلطان فكان سببا لتسهيل الامر عليهم وعلى كل من تعلق بهم من الحجاج شرقا وغربا حتى قضوا مناسكهم وزيارتهم على الامن والامان والبر والاحسان قال: حدثنا جماعة وافرة ممن حج مع المولى ابراهيم في تلك السنة أنهم ما رأوا من ذلك السلطان (يعني ابن سعود) ما يخالف ما عرفوه من ظاهر الشريعة وانما شاهدوا منه ومن أتباعه ما به الاستقامة والقيام بشعائر الاسلام،

من صلاة وطهارة وصيام، ونهي عن المنكر الحرام، وتنقية الحرمين الشريفين من القاذورات والآثام، التي كانت تفعل بهما جهارا من غير نكير . وذكروا أن حاله كحال آحاد الناس لا يتميز عن غيره بزي ولا مركوب ولا لباس، وانه لما اجتمع بالشريف المولى ابراهيم أظهر له التعظيم الواجب لاهل البيت الكريم . وجلس معه كجلوس أحد أصحابه وحاشيته

وكان الذي تولى الكلام معه هو الفقيه القاضي أبو اسحق ابراهيم الزداغي فكان من جملة ما قاله ابن سعود لهم : إن الناس يزعمون أننا مخالفون للسنة المحمدية. فأي شيء رأيتمونا خالفنا من السنة ؟ وأي شيء سمعتموه عنا قبل اجتماعكم بنا ؟ فقال له القاضي: بلغنا أنكم تقولون بالاستواء الذاتي المستلزم لجسمية المستوي فقال لهم: معاذالله انما نقول كما قال مالك : الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة . فهل في هذا من مخالفة ؟ قالوا : لا وبمثل هذا نقول نحن أيضا.

ثم قال له القاضي : وبلغنا عنكم أنكم تقولون بعدم حياة النبي صلى الله عليه وسلم وحياة اخوانه من الانبياء عليهم الصلاة والسلام في قبورهم. فلما سمع ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ارتعد ورفع صوته بالصلاة عليه وقال: معاذ الله انما نقول انه صلى الله عليه وسلم حي في قبره وكذا غيره من الانبياء حياة فوق حياة الشهداء

ثم قال له القاضي: وبلغنا أنكم تمنعون من زيارته صلى الله عليه وسلم وزيارة سائر الاموات مع ثبوتها في الصحاح التي لا يمكن انكارها . فقال: معاذ الله أن ننكر ما ثبت في شرعنا وهل منعناكم أنتم لما عرفنا أنكم تعرفون كيفيتها وآدابها ؟ وانما نمنع منها العامة الذين يشركون العبودية بالالوهية، ويطلبون من الاموات أن تقضي لهم أغراضهم التي لا تقضيها الا الربوبية . وانما سبيل الزيارة الاعتبار بحال الموتى وتذكر مصير الزائر الى ما صار اليه المزور ثم يدعو له بالمغفرة ويستشفع به الى الله تعالى يسأل الله المنفرد بالاعطاء والمنع بجاه ذلك الميت ان كان ممن يليق أن يستشفع به

هذا قول امامنا احمد بن حنبل رضي الله عنه واما كان العوام في غاية البعد عن ادراك هذا المعنى منعناهم سدا الذريعة فأي مخالفة في هذا القدر . اه . ثم قال صاحب الجيش هـذا ما حدث به أولئك المذكورون سمعنا ذلك من بعضهم جماعة ثم سألنا الباقي أفرادا فاتفق خبرهم على ذلك اه

وذكر المؤلف (صاحب الاستقصا) بعد هذا الخبر بحثا في زيارة القبور رجح فيه القول بمنع زيارة الاولياء سدا الذريعة مع بيان العلة واشهارها بين الناس وذكر أن سلطان المغرب المولى سليمان رحمه الله كان يرى هذا وألف فيه رسالته المشهورة وان الشيخ الفقيه الصوفي أبا العباس التيجاني كان يرى هـذا وينهى أصحابه عن زيارة الاولياء اه ملخصا

والشيخ احمد التيجاني المذكور قد انتشرت طريقته في جميع بلاد المغرب الاقصى والادنى وما بينهما حتى ان أتباعه يعدون بالملايين الى هذا العهد(١)

وما نقله من كلام الامير الوهابي في مسئلة الاستشفاع معزوا الى الامام احمد يظهر انه لم ينقل بحروفه فان الامام أحمد رضي الله عنه لا يعرف عنه ولا عن علماء الوهابية مثل هذا القول فيما نعلم والله أعلم

وسنبين في مقال آخر ان المتغلب على الحجاز اليوم هو الذي يكفر المسلمين الذين يعاديهم ويعادونه فقد كفر الترك والمصريين كما كفر الوهابيـة ونبين أن فعما به النجديون من الزحف لانقاذ الحجاز من بغيه هو من فروض الكفاية على الامة الاسلامية قد قاموا به فاذا ظفروا ارتفع الاثم عن جميع المسلمين والا وجب ذلك على غيرهم

١) ولكن الناس لم ينكروا على هؤلاء كالوهابية لسببين أحدهما انه ليس لهم خصوم سياسيون يغرون الناس بهم كما يفعل أمراء مكة بالوهابية . والثاني ان الوهابيـة منعوا المنكرات بالفعل لا بمجرد القول، وهذا مالا يطيق احتماله أهل البدع لانه يفضحهم

المقالة الثانية (*

في بيان الاسباب العامة لزحف الوهابيين على الحجاز

تمهيد : طريقتنا في الكتابة

إننا نكتب ما نكتب في هذا الموضوع لبيان الحق وأداء النصح الواجب للامة الاسلامية وللشعب العربي، وقد عاهدنا الله تعالى على أن لا نؤثر على الحق والنصح شيئاً، وانه اذا ظهر لنا أننا أخطأنا في شيء فاننا نرجع عنه ونعلن ذلك اعلانا

فما كان في كلامنا من خبر فاننا مستمدون لاثباته بالنقل عن المصادر التي لا نزاع فيها وأكثرها رسمية حقيقة أو حكما (وهذا ما يسميه كتاب هذا العصر شبيها بالرسمي) كأقوال جريدة القبلة التي لا تعزوها الى الملك حسين ولا الى حكومته (التي هي هو)

وما كان من حكم شرعي فانا نذكره بالدليل ونعرضه على علماء الاسلام في العالم كله فان كتب الينا أو كلمنا أحد منهم بما يقنعنا بأننا أخطأنا في شيء منه فاننا نرجع الى الحق ونعلن ذلك لمن اطلع على كلامنا حيث اطلع عليه، والا بينا له خطأه بالدليل مع التزام الادب الذي نطالبه به ونعرض كلامنا وكلامه على الجمهور

وما كان من رأي فاننا لا نأبى مناقشة أهل الرأي فيه على شرطنا فيما قبله ومنه ان يرسل الرد الينا أو الى الصحيفة التي ننشر فيها كلامنا، ولسنا نكلف أن نطلع على جميع الجرائد وما عساه يوجد في بعضها من نقد أو طعن فنرد عليه، ولا أن نرد على من يخرج عن شروط المناظرة وآدابها، وانما نرد على من ينكر بالدليل صدق خبر من أخبارنا أو صحة دليل من أدلتنا أو بطلان رأي من آرائنا، لاننا نتحرى الحق والصواب في هذه الثلاثة وندور معه ان شاء الله تعالى حيث دار

اننا أفتينا ببطلان بيعة حسين بن علي بالخلافة وسردنا الدلائل الشرعية على ذلك، ونشرت الفتوى في مجلتنا (المنار) وفي جريدتي الاهرام والمحروسة،

*) نشرت في عدد الاهرام الذي صدر في ٥ ربيع الاول ٤ أكتوبر (ت ١)

وبينا في هذه الفتوى وفي مقالات أخرى في المنار أن هـذه البيعة على بطلانها تضر الامة العربية وتزيد الشقاق بين شعوبها وحكوماتها، فصدقت الحوادث رأينا ولم يرد عليه أحد فيما نعلم، وانا بينا حقيقة حال خصومه النجديين في مذهبهم بالنقل من كتبهم ومن كتب التاريخ المشهورة ولم نذكر من عندنا كلمة واحدة وان يستطيع أحد أن ينكر كلمة من نقلنا وقد بينا مواضعه، حتى ذكرنا أعداد الصفحات والاجزاء التي نقلنا عنها ، لذلك وقع أحسن موقع من أنفس الناس الذين قرؤا مقالنا الاخير الذي نشرناه في جريدة الاهرام واستزادونا من الكتابة في هذا الموضوع ، وكثر طلاب التحفة السنية والهدية الوهابية من القاهرة ومن جميع أرجاء القطر المصري ومما جاوره حتى صار جل عمل مكتبة المنار منذ نشرت المقالة توزيع هذه الرسالة فكان هذا سببا لمعرفة الالوف الكثيرة من الناس ما كانوا يجهلون من حقيقة اهل هذا القطر الاسلامى الذين هم أشد مسلمي هذا العصر حرصا على السنة السنية وعناية بالاعتصام بعروتها الوثقى وكان أمرهم مجهولا عند الاكثرين بل كانوا يوصفون بضد ما هم عليه بما يذيعه حسين بن علي وأعوانه من الطعن في دينهم تبعا لما أذاعه سلفه في إمارة الحجاز، ومقلدوهم من مدة قرن وربع قرن حين فتحوا الحجاز المرة الاولى، حتى كتب أخيرا بعض من لا قيمة للحق والصدق عندهم مقالات في بعض الجرائد كلها زور وبهتان هبط الافتراء ببعضهم فيها الى رميهم بأنهم يسعون لابطال دين الاسلام تمهيدا لنشر دعوة المبشرين (دعاة النصرانية) فكانت هذه فرية عجز عن مثلها

وانا في هـذا المقال وما بعده نبين للناس كافة، ولاهل الغيرة الاسلامية والجامعة العربية خاصة، أسباب زحف النجديين لانقاذ الحجاز من هذا المتغلب عليه، المستبد فيه، الظالم لاهله ولمن يحجونه من سائر المسلمين، وسيعلمون مما نورده من الحقائق الجلية، والشواهد الرسمية وشبه الرسمية، أن سلطان نجد لم يفعل هذا طمعا في توسيع ملكه ، ولا لمجرد المحافظة على حقه ، بل خدمة الملة الاسلامية

والامة العربية ، وان كان الامر الثاني وحده يوجب عليه ذلك شرعا وعرفا، ونبدأ بذكر الاسباب العامة فنذكرها بالايجاز لانها صارت مشهورة الا أنه يقل من يحفظها كلها ويستحضر ذكرها ، ثم من يخلص في بيان ذلك للناس ، ولهذا نرى ما يتعجب منه من الخبط والخلط والباطل في مقالات بعض الكتاب حتى من تصدى لتمحيص امثال هذه المسائل خاصة

* *

الاسباب العامة لزحف النجديين على الحجاز

(السبب الاول) ما هو معلوم بالتواتر القطعي وبالوثائق الرسمية من موالاة شريف مكة حسين بن علي وأولاده للدولة البريطانية وحلفائها في الحرب الاخيرة ونصرهم إياهن على الدولة العثمانية في فتح البلاد العربية وانه كان يهني الدولة البريطانية كلما فتحت مدينة من أمصار الاسلام وعواصم الحضارة العربية كالقدس الشريف وبغداد ودمشق ، ثم اقتسموا هذه البلاد فأعطوه ولاية الحجاز وأخذوا هم ولايات العراق وسورية والقدس الشريف حتى إنهم اقتسموا سكة الحديد الحجازية أيضا التي هي وقف اسلامي أنشيء لتسهيل إقامة ركن اسلامي.

فأما تولي المسلم لغير المسلمين في القتال وفتح بلاد المسلمين فحكمه الديني معلوم بنص القرآن المجيد وكتب الشريعة وحسبنا منه قوله تعالى (ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين) وأما عاقبته في الامة العربية فهي استيلاء الاجانب على مهد حضارتها وعمرانها وأخصب اقطارها وأعظم موارد ثروتها ، وجعل ما بقي لها من جزيرتها المقدسة محاطا به من البر كالبحر ومهدد بفقدان استقلاله في كل وقت ، والتهديد شامل للحرمين الشريفين بالتبع لثالثهما وهو المسجد الاقصى حتى لا يبقى لها استقلال في دين ولا دولة

(فان قيل) ان هذا الرجل وأولاده يدعون أنهم ما فعلوا هذا الا لانقاذ

البلاد العربية واستقلال العرب (قلنا) اننا نحن نبين الحق الواقع لا إفك السياسة ومغالطاتها وكذبها ومكابرتها ، والا فان الانكليز قالوا ولا يزالون يقولون مثل هذا القول في احتلالهم لمصر ، وفي إكراه وزير من وزرائها على تسميته إياهم شركاء لمصر في بلاد السودان ، وفي زعمهم الآن أن السودان يجب أن يكون في أيديهم وحدهم لان لهم مصالح فيه ولا تتم سعادة السودانيين ! ! .

(فان قيل) إن ثورة الشريف التي يسميها النهضة انما بنيت على القصد الصحيح المذكور ثم ظهر له أن حلفاءه خدعوه وأخلفوا وعده ، ونكثوا عهده ، ولا عجب فقد خدعوا رئيس أعظم دولة في العالم كما خدعوه وهو رئيس دولة الولايات المتحدة في أميركا (قلنا) إن هذا باطل كالذي قبله كما يعلم من الاسباب الآتية وربما كان من أسباب ارجاء ابن سعود الزحف على الحجاز الى الآن ، لاجل استعراف نتيجة هذه الاقوال

(السبب الثاني) أن الشريف حسينا وأولاده لا يزالون مصرين على موالاة حلفائهم الاجانب ومودتهم ومساعدتهم على تثبيت أقدامهم في البلاد العربية مع ادعائه هو دون أولاده بأنهم خدعوه وغشوه ـ لانه أشدهم رياء وخداعا وافكا ولذلك يناقض نفسه و يبطل بعض كلامه بعضا ، وها نحن أولاء قد قرأنا في عدد جريدة (القبلة) ٨١٠ الذي صدر في ١٠ المحرم فاتحة هذا العام(١٣٤٣) تصريحا رسميا له بالثبات على مودتهم في منشور باسمه سماه (منشور عيد البيعة الاولى) وما أكثر أعياده بمصائب العرب والاسلام ! ! فقد قال فيه ما نصه :

« وانا لا نزال ساعين لتأييد المودة وتأكيد الروابط بيننا و بين حلفائنا العظام » فما هذا التأييد والتأكيد ان كان صادقا في قوله إنه مخدوع منكوث العهد، مكذوب الوعد ، ولماذا يصر على السعي لعقد المعاهدات معهم والنبي الذي يدعي هو وحكومته اتباعه له دون المسلمين كافة والوهابيين خاصة يقول « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » رواه البخاري ومسلم وغيرهما — دع ما ورد في أمثال هذه

الموادة والمعاهدات في سورتي الممتحنة والتوبة مما ينافي الاسلام نفسه

(السبب الثالث) ان ما يسميه النهضة قد بني على أساس الحماية البريطانية المملكة العربية التي طلب من الانكليز أن يؤسسوها له كما فضحها ولده الشريف فيصل في دمشق الشام بنشره نص مقرراتها الرسمي في جريدة المفيد ثم نقلتها الصحف الكثيرة في المشرق والغرب، وهذا نص المادة الثانيـة منها بحروفه كما كتبها حسين بن علي بيده الاثيمة الخاطئة :

(٢) تتعهد بريطانية العظمى بالمحافظة على هذه الحكومة وصيانتها من أي مداخلة كانت بأي صورة كانت في داخليتها وسلامة حدودها البرية والبحرية من أي تعد بأي شكل يكون حتى ولو وقع قيام داخلي من دسائس الاعداء أو من حسد بعض الامراء الخ

ولكن الانكليز لما لم يسمحوا له بغير الحجاز من البلاد العربية التي طلب أن يكون ملكها تحت حمايتهم لم يكن من مصلحتهم أن يقبلوا رسميا جعـل الحجاز تحت حمايتهم . وهو لا يزال مصرا على هذه المقررات ويعـد من أعظم النعم عليه أن يكون موظفا بريطانيا في الحجاز كبعض النواب والرجوات في بعض الولايات الهندية التي تسمى مستقلة في بطن الحضجر الواسع (١)

ومن الادلة على ذلك أنه طلب مرارا من الدولة البريطانية إقالته من ملك الحجاز وتنصيب غيره بدلا منه . وأرسل مرة الى مدير جريدة التيمس برقية اليه رغب اليه فيها أن يتوسل لدى حكومته لقبول استقالته . وهذا نص البرقية منقولا عن العدد ٥٥٣ من (جريدة القبلة) :

« المدير العمومي لصحيفة التيمس

« اطلعت على عددكم المشتمل الرد والقـدح باتحاد العرب والتزامكم أحد امرائهم ولزيادة اقناع حكومة جلالة الملك وايضاح الحقيقة لعموم الشعب النجيب

(١) الحضجر - بكسر فسكون ففتح - العظيم البطن الواسعة، وسميت به الضبع

البريطاني اكررهذا طلبي بواسطتكم من حكومة جلالته تأكيد تعيين الامير المذكور أو من تراه ليستلم البلاد » الخ . والمراد بالامير المشار اليه سلطان نجد اذ كانت جريدة التيمس مدحته بمقال لها

وكان قد أرسل الى نائب ملك الانجليز بمصر كتاباً في ٢٠ ذي القعدة سنة ١٣٣٦ نشره في جريدته (القبلة) مرارا لاعتقاده انه من معجزات السياسة اوالكياسة والبلاغة استغاث فيه الدولة البريطانية أن لا تعدل مقررات نهضته المبنية على الحماية ولا تعرض الاتفاق معه على مؤتمر الصلح قال فيه ما نصه السقيم

« فان كان ولا بد من التعديل فلا لي سوى الاعتزال والانسحاب ولا أشتبه في مجد بريطانيا أن يتلقى هذا منا الا أنه أمر يتعلق بالحياة لا لقصد عرضي ولا لفكر غرضي وأنها لاأرتاب في أني وأولادي أصدقاؤها الذين لاتغيرهم الطواري والايام ، ثم تعينوا البلاد التي تستحسن اقامتنا فيها بالسفر اليها في أول فرصة »

ثم اجاب عن تعليق أمر مطالبه بالمؤتمر وختم كلامه بقوله :

« ولو قرر المؤتمر المذكور أضعاف مقرراتنا وكان ذلك من غير وساطتكم وقبلناها فنكن (؟) مطرودين من رحمة الباري جل شأنه الرقيب على قولي هذا » اه بحروفه من العدد ٣٩١ من جريدته (القبلة) الذي صدر في ٢٣ رمضان سنة ١٣٣٨ ومنه يعلم أن الدولة البريطانية عنده كالمعبود فلا يعاملها معاملة مبنية على المصلحة فقط

(السبب الرابع) رضاه باستخدام الدولة البريطانية لاولاده في العراق وشرق الاردن لتخدير أعصاب بدو البلاد وحضرها وحملهم على الرضاء بمايؤسس فيها من حظائر الطيارات الحربية وتعبيد الطرق في قلب الجزيرة للسيارات والدبابات ومد سكك الحديد العسكرية والتجارية لتمكين سلطانها فيها ، فان العرب اذ قاوموها قبل ذلك فالراجح أنها تضطر الى ترك بلادهم لهم لئلا تضطرها لمقاومة العملية الى بذل ألوف الملايين من المال ومئات الالوف من الرجال ،

وذلك ما لا يأذن لها به برلمانها ولا تسكت عليه أمتها في هذا الوقت التي أرهقتها فيه الضرائب . واذا هي تم لها بنفوذ هؤلاء الحجازيين ما شرعت فيه من ذلك فرسخت أقدامها واستقرت قوتها فلن تخرج من البلاد وان ترضى الا الاستيلاء على سائر جزيرة العرب للمحافظة على ما تسميه مصالحها وطرق تجارتها وعلى ما تدعيه من اسعاد البلاد وأهلها كما تقول في مسأله السودان وهي عبرة المخدوعين بهؤلاء الحجازيين ان كانوا غير خائنين لامتهم وبلادهم أو جاهلين لمصلحتها لكثير من البدو

(السبب الخامس) جعل حرم الله تعالى الامين مركز ملك حربي يحالف ملكه بعض الملوك الاجانب غير المسلمين ويجعل لهم حقوقا في الحرمين الشريفين غير مسألة الحماية التي تقدم ذكرها ويعادي آخرين ، ولا يجوز أن يجعل الحجاز مركزا حربيا أي عرضة للحرب لان ذلك قد يؤدي الى منع الحج الذي هو ركن الاسلام الاجتماعي العام الجامع للشعوب الاسلامية كلها . وانما مصلحة المسلمين عامة وأهل الحجاز وجيرانهم خاصة جعل الحجاز قطر حياد وسلام والسعي لاعتراف جميع الدول بذلك . ولو فعل السيد حسين المكي ذلك لاستغنى به عن معاداة جيرانه من العرب والاستعداد لقتالهم ، ولاستغنى عما هو شر من ذلك وهو اهانة نفسه وبيته وأمته وملته وحرم الله وحرم رسوله بالالتجاء الى حماية دولة غير مسلمة له ولها

(السبب السادس) أنه سمى نفسه ملك العرب وملك البلاد العربية وحمله غروره بنفسه على السعي لاقناع أمراء جزيرة العرب المستقلين بالاعتراف له بذلك فسخروا من سعيه لسوء سياسته وبناء ملكه على الحماية الاجنبية وضعفه وفساد ادارته واعتقاد كل منهم واعتقاد رعيته وسائر العارفين بحالهم أنهم أحق بالملك منه . ولكنه لم يرجع عن دعواه بل أصر على ذلك وحاول التوصل اليه بقوة الاجانب الذين جعلوا احد أولاده ملكا والآخر أميرا مرشحا للملك في

دائرة امبراطوريتهم المرنة ؛ فهو قد اتخذ جميع أمراء الجزيرة المحيطين بالحجاز أعداء له . وحسبنا شاهدين على هذا : ما صرح به لرئيس مؤتمر الجزيرة الذي أسسه لبث دعايته وتمهيد السبيل له — وما جرى في مؤتمرات الكويت من الامتناع من الاتفاق الودي مع حكومة نجد وانا ننقل بعض كلامه في الشاهد الاول ونرجيء الثاني الى بيان الاسباب الخاصة لزحف النجديين على الحجاز :

نشرت جريدة القبلة في العدد ٧٣٧ الذي صدر بمكة في ٦ ربيع الآخر سنة ١٣٤٢ بيانا عاما من (اللجنة التنفيذية لمؤتمر الجزيرة) بامضاء رئيسها (محمد ابن علوي) ذكر فيه ما صرح له به الملك حسين من تفسير الوحدة العربية التي يطلبها ، وهو انه رسمها على الاساس الآتي :

« وهو وحدة البلاد العربية واستقلالها بحيث تكون خارجيتها وعسكريتها وسياستها العامة واحدة . أما داخليتها فالامارات العربية المعروفة بجزيرة العرب تكون على ما كانت عليه قبل الحرب ، وان كل أمير في أي امارة من هذه الامارات الموروثة لهم من آبائهم واجدادهم يستقل بداخليته ضمن الحدود التي كانت عليها امارته قبل الحرب بشرط أن يرتبط مع المجموع الذي كل من خرج عنه منهم أو شذ بالخروج عن الجامعة العربية يحكم عليه المجموع بمقتضى قوله تعالى (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله)

« وأما ما كان خارجا عن حدود تلك الامارات سواء كانت تلك الامارات قائمة بذاتها ضمن حدودها أو طرأ عليها الاغتصاب كعسير قبل الحرب وابن رشيد بعد الهدنة فلا بد من عودتهم الى ما كانوا عليه كعودة الامام يحيى الى صنعاء »

ثم قال « ولذلك فهذه هي الخطة التي عليها نحيا وعليها نموت وعليها نبعث ان شاء الله من الآمنين — لذا فلابد من اعادة آل رشيد وآل عايض الى اماراتهم وحدودهم وقبائلهم التي كانوا عليها ، واعادة كل أمير من امراء الجزيرة الى ما كان عليه قبل الحرب » — الى أن قال — « هذا الذي أدين الله عليه

ولو لم تبق الاذاني وحياتي لانفقتها في هذا السبيل »

فهذا نص صريح من الملك حسين الذي سمى نفسه (ملك العرب وجميع البلاد العربية) بمعاداة جميع امراء جزيرة العرب وجعلهم معه في حالة حرب لانه يدين الله تعالى بسلب كل واحد منهم بعض البلاد التي في يده وبجعلهم تابعين في السياسة الخارجية والحربية والادارة العامة لملك العرب أي له .

أذاع عنه هذا في جريدة (القبلة) رئيس مؤتمر الجزيرة المستخدم عنده لهذا وهو الذي يرسل البرقيات الى العالم الآن في الافتراء على النجديين لينفر العالم منهم

(السبب السابع) إلحاده بظلم أهل الحرم وارهاقهم العسر من أمرهم بضرب المكوس الباهظة على كل ما يرد الى البلاد من الاقوات وغيرها وباحتكاره القوت الضروري وهو الخبز بابطاله جميع الافران العامة الخاصة وانشائه أفرانا يكره الناس على الشراء منها بالثمن الذي لا يمكن أن يزاحمه فيه أحد ، مع عدم المبالاة بقول النبي (ص) « احتكار الطعام في الحرم إلحاد فيه » رواه البخاري في تاريخه وأبو داود في سننه وأكثر رواة التفسير المأثور من حديث يعلي بن أمية (رض) وفي معناه روايات أخرى عن عمر وابن عمر (رض) مرفوعة وموقوفة وبغير ذلك من اغتصاب أوقاف الاشراف والاوقاف الاهلية في المدينة المنورة وبالحبس والتنكيل والتعذيب وقطع الاطراف والقتل بغير حق يجيزه الشرع ، ولا نطيل هنا في هذا وقد بيناه بالتفصيل في مجلة المنار ولدينا مزيد وهو معروف عند أهل نجد

(السبب الثامن) تحكمه بهواه في أمر فريضة الحج فهو يمنع منها من اتخذهم أعداء له كأهل نجد ويضرب على سائر الحجاج المكوس غير المشروعة باسم جوازات السفر ورسوم الصحة وغير ذلك مما أذاعه حجاج الافاق في جميع الاقطار ، وشرحناه بالتفصيل في مجلة المنار

(السبب التاسع) نشره في جريدة القبلة أنه لا يوجد في العالم حكومة اسلامية تقيم الحدود وتلتزم أحكام الشرع غير حكومته ، وتكفيره للترك والمصريين

والنجديين ، وسنذكر بعض الشواهد على هذا في المقال التالي

(العاشر) ادعاؤه مع كل ذلك الخلافة الاسلامية الذي يقتضي أن كل من يخالفه ولا يخضع لحكومته من الشعوب والحكومات الاسلامية من الخوارج البغاة الذين يجب عليه وعلى سائر المسلمين قتالهم ، وقد ذكرنا آنفا رأيه في امارات جزيرة العرب المجاورة للحجاز وتصريحه قبل اظهار دعوى الخلافة والدعوة العامة الى مبايعته بها بأنه يدين الله تعالى بجعلها تابعة لملك واحد وبعزمه الثابت على تنفيذ ذلك بالقوة ، فكيف يكون شأنه بعد هذه الدعوى ومقتضاها عنده أنه يجب على أهل هذه البلاد كسائر المسلمين أن يكونوا تابعين له خاضعين لحكمه

فهذه الاسباب العامة توجب على من قدر من أمراء المسلمين أن ينقذوا الحجاز من سلطة هذا المدعي المغرور كما فصلناه من قبل في المنار وسنجمل القول فيه في المقال التالي الذي نبين فيه الاسباب الخاصة التي حملت أهل نجد على القيام بهذا الفرض الكفائي وسبب تأنيهم في ذلك وهو الاحترام للحرم الشريف

المقالة الثالثة

الاسباب الخاصة بنجد لزحف أهلها على الحجاز

بينا في المقالة الثانية جل الاسباب العامة لانقاذ الحجاز من السيد حسين المكي المستبد فيه التي يعدها السلطان عبد العزيز بن سعود موجبة شرعا للقيام بهذا العمل لمن قدر عليه مثله ، واذا كنا نكتب أمثال هذه المقالات في فترات قصيرة نختلسها من شواغلنا الكثيرة اختلاسا نسينا أن نذكر في تلك الاسباب عجز المتغلب على الحجاز عن حفظ الامن بين الحرمين الشريفين ونكثه للعهود التي عاهد أعرابها عليها حين دعاهم الى الثورة والخروج على الدولة العثمانية وهو أن يعطيهم في كل سنة ضعفي ما كان مرتبا لهم من الاموال التي كانت ترسلها الدولة الى الحجاز لاعانة أهله فكان يعطيهم في سني الثورة ثم منعهم بعدها كما منع

أكثر المستحقين للاعانات التي ترسل من مصر — فاضطروا الى منع الناس من زيارة حرم الرسول صلى الله عليه وسلم الا من يؤدي لهم ما فرضوه بدلا مما كانوا يأخذونه كما فصلناه في المنار

ونبين الآن ما نتذكره من الأسباب الخاصة بالنجديين وهي ترجع الى غرض واحد هو ازالة استقلال سلطنة نجد وجعلها تابعة لما يسميه الممالك العربية الهاشمية ، والاسباب التي نذكرها حجج ناهضة تدل على ذلك وهي :

سرد هذه الاسباب الخاصة

(١) اننا عقب انكسار الدولة العثمانية في الحرب البلقانية وضعنا مع بعض أهل الغيرة العربية والاسلامية خطة لوقاية بلاد العرب من استيلاء الاجانب عليها ومنها جمع كلمة أمراء العرب ووضع اتحاد حلفي بينهم لازالة العداوة والتعاون على حفظ البلاد العربية وصيانتها من تعدي الاجانب ، والفصل في المنازعات الداخلية بين أولئك الامراء ومن دونهم من القبائل بالتحكيم . . .

وقد تولى كاتب هذه المقالات تبليغ أمراء اليمن ونجد وعسير ذلك فجاء منهم مكتوبات بالاستحسان وطلب التفصيل وطرق التنفيذ . . . وعهد الى الشريف عبد الله أن يبلغ ذلك والده حسينا اذا كان يرجح قبوله له . ولما وقعت الحرب الكبرى ودخلت الدولة العثمانية في حلفي دول أوربا الكبرى وشرعت الدولة البريطانية تخادع جميع أمراء العرب وزعمائهم لتستخدمهم وتستعين بهم على الدولة ثم على أنفسهم لتكافئهم على ذلك بسلب استقلالهم ـ اشتدت الحاجة الى تحالفهم واتفاقهم على صيانة البلاد العربية والاحتياط لحفظ استقلالها اذا قهرت الدولة العثمانية وانكسرت مع أحلافها ، ولما انخدع أمير مكة هذا للرقية البريطانية بسوء سريرته وجهله بشؤون السياسة صارت الحاجة الى ذلك أشد ، وقد أخبرني ولده السيد عبد الله أنه ذكر له اقتراحي ولكن وقعت الحرب عقب ذلك فشغلتهم الثورة عن اعادة القول فيه ، أخبرني بهذا في مكة المكرمة بعد اتمامنا مناسك

الحج ورغب اليّ أن أكلم والده فيه فكلمته وذكرت له شيئا من خداع السياسة وكون الاستفادة منها منوطة بالقوة . . . ولما صرحت له بالمسألة اعتذر عنها بأنه اذا خاطب جيرانه بذلك يظنون أنه عاجز عن مقاومة الترك ويريد مساعدتهم وان الرأي أن يرجىء ذلك الى أن يستولي على المدينة ويخرج الترك من الحجاز كله ، فقلت له : لا نكلفكم مخاطبة أحد منهم بل نحن نتولى ذلك ونرجو النجاح فيه وانما نرجو أن نكون على بينة من رأيه فيه وثقة من رضاه وقبوله الاشتراك فيه اذا أقنعنا سائر الامراء . . . فلم يقبل حتى أني قلت له : إني أضمن لكم قبول صاحب نجد واذا احتيج الى ذهابي اليه بنفسي فاني أفعل ، فلم يقبل ، ثم قال أمام بعض بطانته أو حاشيته : من هؤلاء الكلاب حتى أتفق معهم ؟ اليوم يوجد في الدنيا رجل يقال له ابن سعود وغداً لا يوجد في الدنيا ابن سعود . . .

(٢) ان أول عمل عمله بعد الاستيلاء على المدينة المنورة عقب خروج الترك منها بعد هدنة الحرب — وقد عجز عن أخذها منهم بالقوة — أنه جمع كل ما كان يقاتل به الترك هنالك من الجند النظامي والبدوي مجهزاً بأحدث الاسلحة ولا سيما المدافع والرشاشات وقنابل اليد ووجههم بقيادة ولده السيد عبد الله الى الشرق لاسترداد الخرمة وتربة فالزحف على نجد ، وكانت تلك أعظم قوة حربية اجتمعت لهم في الحجاز يدير حركتها زهاء مائة ضابط عربي جلهم من ضباط العراق البارعين ، ولما وصلوا الى الخرمة باغتوا أهلها وهم في صلاة الفجر ففتكوا بهم وهم يصلون شر فتكة . . . فاستنجد الشريف خالد عامل الخرمة الاخوان (الوهابيين) فزحفوا على ذلك الجيش المنظم، فكانوا قضاء الله المبرم، اصطلموا الجيش وغنموا سلاحه وكراعه وذخيرته وقتلوا أكثر من ثمانين ضابطا هم خيار ضباطه ، وفر الشريف عبد الله منهزما بزي الاخوان مقلداً لهم في كلامه

(٣) ان السيد حسينا لم يقترح على الانكليز في « مقررات النهضة » أن يؤسسوا المملكة العربية ويتولوا حمايتها وصيانتها « من الداخل والخارج »

الا لما في قلبه من العداوة لابن سعود والخوف منه ، وهو هو الذي يعنيه بقوله في مادة الحماية الذي ذكرناه في المقالة الثانية «أو حسد بعض الامراء» فابن سعود أولى الناس بثل هذا العرش المبني على جعل الحرمين تحت حماية غير المسلمين خوفا منه ، وها نحن أولاء نقرأ في جميع الصحف ما جاء في البرقيات من (لندن) من استغاثة الشيخ حسين هذا بالدولة البريطانية ومطالبتها بانقاذ الحجاز من الوهابية ، فالانكليز يتنصلون من الاعتراف أمام العالم الاسلامي بحمايتهم للحجاز لما يعلمون من كراهة المسلمين لذلك وعده اعتداء عليهم في دينهم وهو لا يستحي من الجهر بمطالبتهم بذلك ومكافأتهم عليه بتوقيع «المعاهدة البريطانية العربية» على علاتها ، وان كره أصدقاؤه من أهل فلسطين تضمنها لاعترافه بالانتداب البريطاني ووطن اليهود القومي في بلادهم ، وكره جميع المسلمين ما جعل للانكليز فيها من الحقوق في الحجاز وفي معاملة الحجاج! ومتى كان يبالي بالمسلمين أو غير المسلمين اذا رضي عنه الانكليز؟ ولكن من مصلحتهم الآن أن لا يرضوا عنه ولا ينصروه وهم أعرق الناس في بناء سياستهم على المصالح لا كما يصفهم بأنهم يعملون بمقتضى «الحسيات» بالمعنى الذي يفهمه هو

(٤) ان هذا الرجل قد شرع منذ سمى (نفسه) ملك العرب وصاحب الممالك العربية وبايعه مستضعفو مكة وجدة في الجهر بالملك وفي السر بالخلافة الاسلامية (كما قالوا أخيرا عند تجديد البيعة) — شرع يطعن في دين الوهابية وعقائدهم ويرميهم بالكفر وتكفير المسلمين تمهيداً لقتالهم وأخذ بلادهم ولم يكتف في ذلك بما نشره في جريدته (القبلة) باسانها بل صرح بذلك مراراً في مقالاته ومنشوراته الرسمية كالمنشور الرسمي الذي نشره في العدد ٢٠٢ المؤرخ في ٢٤ شوال سنة ١٣٣٦ والمنشور الرسمي الذي اصدره في غرة ربيع الاول سنة ١٣٣٧ و المنشور الرسمي الذي نشره في عدد ٨ جمادى الاولى سنة ١٣٣٧

وقد صرح في المنشور الثاني بعزمه على محو بدعة الوهابية «خدمة للدين

وتنزيها له مما في هذا الزيغ والضلال وسلامة البلاد من سيئاته » وذكر في الثالث أنه معهم في موقف دفاع ثم قال « فنحن نحرر منشورنا هذا علاوة على ما سبق ليعلم القاصي والداني أنه متى تحقق لدينا عدم نجاح خطة الدفاع أمام مبادئهم فلا بد للسلطان من قتالهم بكل موجوديته »

وهذان النصان الرسميان انذار بأنه يرى وجوب قتالهم لاجل دينهم واكراههم على ترك عقائدهم وما يدينون لله به وانه هو سلطان المسلمين ويفعل هذا اصالة ونيابة عنهم ، فاذا كان صرح بهذا والدولة العربية التي اقترح على العظمة البريطانية تأسيسها له وهم من الاوهام ، والخلافة التي رضيها له ملك الانكليز حلم من الاحلام ، فماذا عسى أن يفعل بهؤلاء النجديين اذا استقر ملك أولاده في العراق والشام ، ورضي الانكليز بأن يؤلف بهم الوحدة العربية ، وقد سبق فادعى لنفسه الخلافة الاسلامية؟ اللهم الطف بعبادك وارحمهم برحمتك ، وانقذ من هذا الطاغوت أهل حرمك ، ولا تسلطه على أحد من خلقك « كتبت هذه المقالة قبل وصول خبر خلعه ولكن تأخر نشرها » (*

قلنا في مقال سابق أن رميه الوهابيين بالمروق من الدين ، واستحلال دماء المسلمين ، قد اتبع فيه سلفه الطالح عند ظهور أمرهم في فجر القرن الثالث عشر للهجرة ، ونذكر هنا ما فاتنا هنالك من شهادة التاريخ على ذلك ، لاتحاد العلة والمعلوم في فساد الاول والآخر ، ولانها من الشواهد على ما قيل من « أن التاريخ يعيد نفسه » :

قال المرحوم محمود فهمي باشا المهندس المصري في الجزء الاول من تاريخه (البحر الزاخر) في سياق الكلام على الوهابية :

---

*) المنار : نشرت هذه المقالة فى الاهرام فى ٨ ربيع الأول وكانت أخبار الحجاز قد جاءتنا بانه استقال أو خلعه حزب تألف من كبراء أهل جدة ومن هاجر اليها من مكة ونصب ولي عهده عليا ملكا دستوريا للحجاز وحده ، ثم تبين ان ذلك كان خداعا كما سنبينه بعد

« ومن بعد مدة استمرت في محاربات شديدة، ووقائع عتيدة ، دخل جميع بلاد العرب في العقائد الوهابية ، أي العقائد الاصلاحية للديانة الاسلامية ، وصارت نجد أيضا في حالة سياسية مدنية جديدة ، وبدل ان كانت جهاتها منقسمة الى عدة عشائر وشعوب صغيرة منفصلة عن بعضها (١) ومستمرة في حروب وكروب بين بعضها (٢) صارت مقر دولة قوية، وسلطنة سياسية، مثال سلطنة الخلفاء القدماء ولرئيس هذه الدولة السلطة في الاعمال الدينية والدنيوية

و « مع ما كان عليه الوهابيون من الحروب والمبارزات في بلاد العرب لم يعتدوا على حقوق الحكومتين المجاورتين لهم وهما حكومة بغداد والحجاز ، وكانت قوافل الحجاج تمر من وسط أراضيهم من غير أن يحصل لاي قافلة ضرر أو انزعاج، وكانوا في أحوال أخوية ودية مع الشريف سرور شريف مكة. وفي سنة ١٧٨١ بعد الميلاد استحصلوا على رخصة منه في أداء حجهم وطوافهم بالكعبة، فتولد من زيادة قوتهم نفوذ شوكتهم اشتعال نار الحسد في قلب الشريف غالب، وفي ظرف بضع سنين من تقلده الحكومة وتوظنه شريف مكة (٣) بعد الشريف سرور أعلن حربا على الوهابية وكانت طرائق هذه الحرب مثل طرائق حرب البدو متقطعا بهدنات صغيرة قصيرة المدة ولما انتظمت مخابرات الشريف غالب مع الدولة التركية العثمانية لم يهمل أدنى طريقة يمكنه اجراؤها في تمكين الدولة العثمانية من دخول عساكرها في بلاد العرب لاجل الوقوع بالوهابيين (٤) الاوأجراها وأثبت (٥) أنهم من الملحدين الكافرين وأن معاملتهم مع قوافل الحجاج التركية من أقبح الاعمال الفاسدة المضرة بالدين اه.

المراد منه هنا بحروفه على ما فيه من غلط لغوي (راجع ص ١٧٣ و ١٧٤ منه)

ثم قد أعقب هذا الافتراء والافساد أن أمرت الدولة العثمانية حكومة بغداد بقتال الوهابيين ففعلت فلما اشتغل الوهابيون بقتال الدولة ودخلوا العراق زحف

---

١ » الصواب: منفصل بعضها عن بعض « ٢ » الصواب فيما بينها « ٣ » أي توليته إمارة الحجاز
« ٤ » يقال وقع بالعدو وأوقع به اي فتك به في القتال وواقعه، قاتله (٥) أي أكد وجزم كاذبا

الشريف غالب على نجد واستولى على قرية فيها فكان هذا هو السبب لزحف الوهابيين على الحجاز وفتحه . والآن يريد خلفه حسين أن يهيج عليهم العالم الاسلامي كله والعالم الاوربي أيضاً بما يرسله من البرقيات التي يلفقها بأسماء مجهولة لحجاج رعايا الدول الاوربية، أو معروفة كلجنة مؤتمر الجزيرة التي ألفها بمكة للفساد والافساد في البلاد العربية ، فهو الذي كتب تلك البرقيات وهو الذي أرسلها الى البلاد والاقطار والصحف ووكلاء الدول وجمعية الامم (* من غير أن يكلف أحد منها قرشا من أجورها ، ومن غرائب غفلات البشر أن وجد منهم من يصدق ما قيل فيها من اتهام الوهابيين بارتكاب الفظائع التي لا يستبيحون شيئا منها ، وحسبهم أنها شهادة ممن عرف بالكذب على عدوه وأقرب ما اشتهر من كذبه في جريدته (القبلة) ومن كذبه في منشوراته الرسمية ادعاه مبايعة العالم الاسلامي له بالخلافة حتى مدن مصر المشهورة

(٥) شن الغارات عليهم وبدؤه بقتالهم عند كل فرصه سنحت له ، وا كبر هذه الغارات زحف ولده عبد الله با كبر قوة اجتمعت له بعد اخلاء الترك المدينه المنورة عقب هدنة الحرب العامة وهي التي ذكرناها في السبب الرابع آنفا وأوسطها زحفه على منطقة عسير في إثر وفاة السيد محمد علي الادريسي الذي كان قد تخلى عنها لسلطان نجد، وفي إثر تنكيل الوهابية بجملته هنالك وقعت حادثة حجاج اليمن الذين اعتقد الوهابيون أنهم نجدة منه فأطلقوا عليهم الرصاص ، و بعد

*) لما فتح الوهابيون الطائف أرسل الملك حسين برقية طويلة من مكة باسم بعض أهلها والوف الحجاج من رعايا الأجانب فيها الى قناصل الدول بجدة والى جمعية الامم بسويسرة وعواصم أوربة وجرائدها وأشهر مدن الشرق والغرب وجرائدها يزعم فيها أن الوهابيين اقترفوا أعظم الفظائع والمنكرات .. ثم ظهر كذب البرقية من وجوه متعددة وان الذين سبقوا الى احتلال الطائف كانوا من عرب الحجاز التابعين لنجد لا من النجديين وان النجديين لما وصلوا الى الطائف انتظمت الامور فيها كانها لم تصل بنار حرب

ان عرف الامر اعتذر السلطان عبد العزيز للامام يحيى عن هذا الخطأ واتفقا على حفظ المودة بينهما بتعويض مقبول معقول ، ولكن حسينا كان قد أمطر العالم كله برقيات في التشنيع على الوهابيين

وآخر هذه الغارات حملة ولي عهد حسين الامير علي على الوهابيين بالقرب من خيبر وقد مهد لذلك بخدعة هو بارع بأمثالها

ذلك بأن أعان عقب زيارته لشرق الاردن في أواخر العام الماضي بأنه قد عفا عن المسجونين والمعتدين وأباح المرور والدخول في المدينة المنورة وسائر الممالك الهاشمية !! وأنه لا حرج على النجديين في التجارة في بلاد الحجاز ، ولما تبعه نجله وولي عهده السيد علي أمير المدينة المنورة (١) والى شرق الاردن أمره بتأليف حملة لغزو عرب ابن سعود المخيمين بالقرب من خيبر اذ يكونون وادعين هنالك ، مغترين بذلك التأمين العام والعفو الشامل ، فألفها من ستمائة هجان وأربعمائة فارس بقيادة الشريف جعفر بن سلطان ففتكت بالاخوان المتفرقين في الاطراف وسلبت أموالهم ومواشيهم وهمت بالرجوع ولكن نبأها كان وصل الى الاخوان الذين في جهة خيبر فأتبعوها وفتكوا بها فتكة لم يسلم منها الا أفراد من فارة الهزيمة واسترجعوا جميع ما أخذت ، ووصل قائد الحملة الشريف جعفر الى المدينة المنورة مضرجا بدمه فكان من سوء تأثير هذه الحملة ان زالت بقية الثقة بأقوال «ملك جميع البلاد العربية» على ما أضيف اليه من لقب «الخلافة الاسلامية» وانقطعت سبل التجارة بين نجد والمدينة المنورة كما انقطعت مع مكة قبلها وكان ذلك سببا لشدة غلاء اللحم والسمن في الحجاز كله

على أن الامير عليا أذاع في جرائد سورية وفلسطين وغيرهما وجريدتهم قبلة الكذب أن بعض الوهابيين حاولوا الاعتداء على سكة الحديد الحجازية فأدبتهم

«١» وهو الذي وردت البرقيات قبل نشر هذه المقالة بنصبه ملكا على الحجاز وهو أعجز من والده عن ارادته وحفظ الامن فيه

الجنود الهاشمية، أو ما هذا معناه. هذا ملخص ما كتبه الينا بعض رجالهم بل ضباطهم

(٦) بث حسين الدسائس واغراؤه للعداوة والفتن بين نجد والبلاد المجاورة لها منذ اعتقد أن الحجاز صار ملكا له وأنه سيكون في خاتمة الحرب مالكا على جميع البلاد العربية بما كان يكتبه الى ابن الرشيد وآل عايض وغيرهم ، وهذا أمر قد أذاعته حكومة نجد في البلاغ الذي نشره الامير فيصل نجل سلطان نجد في جرائد مصر وغيرها المؤرخ في ٢٠ رجب سنة ١٣٤٢ وقد جاء فيه ما نصه :

«ان تحت يدنا من الكتب والرسائل التي وجدت في تربة والخرمة وعسير ما يفيد أن ملك الحجاز وولده عبد الله لا يسعون الا لشهواتهم ومصالحهم ولو أدى ذلك الى هدم بناء العرب ولكننا نمسك عن نشرها الآن فان سمح لنا ملك الحجاز بنشرها نشرناها وهنالك يعلم العالم الاسلامي والعربي تلك الجنايات والدسائس» الخ

(٧) ما ذكر في هذا البلاغ النجدي الرسمي من بث حسين الدسائس في بريدة من بلاد نجد واغرائها بالخروج على حكومتها

(٨) انه كان سببا في فشل مؤتمر الكويت اذ اشترط في الاتفاق مع ابن سعود تركه لبعض بلاده كما هو مشهور(*)

فعلم من هذه الاسباب أنها تفصيل لخطة حسين فيما سماه الوحدة العربية التي ذكرنا نص عبارته الرسمية فيها في المقالة السابقة وهي واضحة في أنه لا يقر له قرار حتى يزيل سلطنة نجد من الوجود ويجعل بلادها تابعة له . وهذا كاف في عرف كل دولة وكل حكومة في العالم لمقابلته بالمثل ، ولكن السلطان ابن سعود لم يحفل يوما ما بعداوة شريف مكة لعلمه بضعفه وعجزه، أن ينال منه منالا وقد صرح تصريحا رسميا بأنه انما ينقذ الحجاز من ظلمه وبغيه لاجل المصلحتين

*) تواطأ ملك الحجاز حسين هو وابناه فيصل ملك العراق وعبدالله أمير شرق الاردن على ان يشترطا في اتفاقهما مع سلطان نجد على الحدود وغيرها الاتفاق على حدود الحجاز ومطالبه، وصرحوا بان منها ترك سلطان نجد لبلاد حايل وللجوف وسكاكه من بلاده المتصلة بسورية وللخرمة وتربه من جهة الحجاز ولعسير - ولذلك فشل مؤتمر الصلح

الاسلامية والعربية اللتين فصلنا أسبابهما في المقالة السابقة . وسنبين في المقال التالي وجه الوجوب الشرعي لهذا الانقاذ ممن سمى نفسه (المنقذ) ونبين أن هذا خدمة جليلة للمصلحتين بالدليل والبرهان

المقالة الرابعة

الوثائق الرسمية لنجد على طاغوت الحجاز

بينا في المقالة الثانية الاسباب العامة التي توجب انقاذ الحجاز من طاغوت مكة حسين بن علي على من قدر عليه من المسلمين كأهل نجد ، وفي المقالة الثالثة الاسباب الخاصة بأهل نجد انفسهم ، ونسينا أن نعد منها منعهم من التجارة في الحجاز بل جاء بالمرض وهو الذي كان من أسباب شدة غلاء السمن واللحم في مكة كما بيناه في المنار من قبل ، وقلنا ان هذه الاسباب الخاصة كافية في البعث على القتال عند كل أمة ودولة ، ولكن سلطان نجد لا يبالي بعداوة حسين له لبلاده ، ولا بعظاهرة أصحاب الالقاب الفخمة له من أولاده ، الذين لم يستح كل واحد منهم باظهار الاحتقار له بمثل قولهم ليس ابن سعود الا شيخ عشيرة أو قبيلة — وانما هو يرجح الواجب الشرعي بالمصلحة العامة الاسلامية والعربية على المصلحة النجدية الخاصة ، ونحن نؤيد قولنا بالوثائق الرسمية حقيقة أو حكما كما أيدنا كل موضوع مما بيناه في المقالات الثلاث

نشرنا في المنار ثلاث وثائق صدرت من الرياض عاصمة آل سعود فيما بين الحجاز ونجد من الخلاف سبقنا الى نشرها كثير من جرائد مصر وغيرها من البلاد الشرقية ولا سيما العربية

(الاولى): بلاغ بامضاء الامير فيصل نجل السلطان عبد العزيز آل سعود عنوانه « الحقيقة والتاريخ » وجهه الى أشهر الصحف في العالم الاسلامي في ٢٠ رجب سنة ١٣٤٢ يتضمن سعي سلطان نجد في أثناء الحرب وبعدها لبناء الوحدة العربية

ومقابلة الملك حسين له بالاستهزاء وسعيه انقض بنيانها بما كان يسعره من نار الفتن والدسائس » الخ وقد حدثنا من سمع من لسان السلطان عبد العزيز آل سعود أن فيما كتبه الى ملك الحجاز أن يكون هو (أي الملك حسين) رئيس الوحدة العربية المقترحة . . . فهزيء به ولم يرد عليه ، وفي هـذا البلاغ انذار الملك حسين بنشر المكتوبات التي وجدت بامضائه في تربه وعسير والقصيم في الحث على الافساد والفتن اذا هو مارى فيها

(الوثيقة الثانية) : بلاغ آخر منه « للعالم الاسلامي والشعب العربي » صدر من الرياض في ٢٨ شوال سنة ١٣٤٢ افتتحه بأنه منذ بضع سنين قام نفر من العرب يطالبون باستقلال شعبهم واتحاد أمرائه فحمدت حكومة نجد سعيهم (قال) « وعرضنا عليهم مساعدتنا على أن نضع حدا لمطامع الاجانب ومقدار مداخلتهم في بلاد العرب فأبوا الا أن ينفردوا بهذا العمل الخطير ويأخذوا على عاتقهم مسئوليته ويحوزوا وحدهم فخر تحرير بلاد العرب — فقلنا أنجح الله استقلال العرب أيا كان المحرر والمنقذ . ولكن ما كاد السيف يوضع في غمـده حتى رأينا الاستقلال والتحرير وصاية وانتـدابا ، وحتى رأينا شباب العرب وأحرارهم يقادون الى السجون ويجلون عن بلادهم ، ويمنعون من الاقامة في ديارهم ، فهل الاستقلال أن يصبح العرب غرباء في بلادهم ، ومرافق الحياة في يد غيرهم ؟ ولو لا أن الحجاز يمس شعور المسلمين احتلاله لرأينا الانتداب قد ضرب عليه »

ثم ذكر مناوأة هؤلاء الجناة على البلاد العربية لنجد جارتهم لانهـا « قوية مستقلة لم تنفذ اليها مطامع المستعمرين » ثم قال

« ان نجدا تمد يدها لكل من يريد خير العرب ويسعى لاستقلال العرب ، وتساعد كل من ينهض لتحرير العرب واتحاد العرب

« ان نجدا ترحب بكل عربي أبي ، وتعد أرضها وطنا لكل عربي سوري أو عراقي أو حجازي أو مصري ، ان نجداً لا تطمع في امتـلاك أرض خارجة

عن حدودها الطبيعية . ولكنها لا تقبل الا أن تستقل بلاد العرب كلها استقلالا صحيحا لا يكون لغير أبنائها سلطان عليها »

ثم ذكر مسألة الخلافة فنفى أن تكون وظيفته روحية للتبرك وأثبت أنها حق لجميع المسلمين ليس لجماعة أو شعب حق البت فيها وأنهم لذلك أنكروا على حسين بن علي « عجلته والحط من شأنها بقبوله هذا المنصب الذي لا يليق له .. (وقال) ان أهل نجد يوافقون اخوانهم أهل مصر والهند في وجوب عرض هذه المسألة على مؤتمر يمثل الشعوب الاسلامية تمثيلا صحيحا »

فهذه تصريحات قطعيـة في رأي حكومة نجد في استقلال البلاد العربيـة استقلالا صحيحا مطلقا من قيود الوصاية والانتداب التي جناها عليها بيت حسين الحجازي ولا يزالون يخدمون حلفاءهم في تمكينها جهاراً ، ونصوص لا تحتمـل التأويل بأن أئمة نجد وحكامها يعدون جميع الشعوب الاسلامية اخوانا لهم خلافا لما يفتريه عليهم حسين بن علي وأجراؤه من عدم اعتراف النجديين لاحد بالاسلام غير الوهابيين

(الوثيقة الثالثة) ما صرح به السلطان عبد العزيز آل سعود نفسه في مؤتمر الشورى الذي عقد في الرياض عاصمة نجد في أول شهر ذي القعدة الماضي سنة ١٣٤٢ فقد اجتمع هنالك كبار علماء البـلاد وزعماؤها ورؤساء الاجنـاد وقوادها في قصر الامام عبد الرحمن الفيصل والد السلطان الذي حضر مجالسهم وكانوا قد كتبوا الى والده الجليـل برغبتهم في أداء ركن الاسلام — الحج ، والاستعداد لغزو ملك الحجاز وصد عدوانه ، فأخبرهم أنه أرسل مكتوباتهم الى ولده (السلطان) في أوقاتها وقال لهم اسألوه عنها

فتكلم عنهم سلطان بن بجاد بن حميد زعيم برقا من عتيبة وأمير هجرة غطغط قال « أيها الامام ! اننا نريد الحج لا محالة ولا نستطيع ان نصبر على ترك ركن من اركان الاسلام مع قدرتنا عليـه ، ان مكة ليست ملـكا لاحد ، ولا يحق

لاحد أن يمنع مسلما أو يصد مؤمنا عن آداء فريضة الحج . اننا نريد أن نحج فان منعنا شريف مكة دخلنا مكة بالقوة ، وان لم يصدنا عن سبيل الله أو يلحق بنا أذى فنحن نحج ولا شأن لنا به . واذا كنتم ترون من المصلحة تأخير فريضة الحج فلا بد من غزو الحجاز وتخليص البيت من سيطرة طاغية مكة الذي أرهق العباد وضرب من المكوس والرسوم على قاصدي بيت الله الحرام ما تبرأ منه الشريعة الطاهرة »

وأجاب السلطان باحالة الحكم في مسألة الحج على العلماء فقرروا وجوب أدائه بالرضا أو القوة الا أن يكون في ذلك مفسدة راجحة وسألوه عن ذلك فشرح لهم ما كان من سعيه للسلام والامان في الجزيرة والعيش مع شرفاء مكة بالمحبة والمودة وما كان من سعي الشريف حسين لالقاء الفتن بين النجديين الى أن قال مانصه:

«السلطان عبد العزيز : أيها العلماء والاخوان لقد سعيت من مدة طويلة في بسط السلام والامان داخل الجزيرة فنحن لا نود أن نحارب من يسالمنا ، ولا نمتنع عن مصافاة من يصافينا . لقد أحببت أن نعيش مع أشراف الحجاز كما يعيش الجيران على المودة والمحبة ولكن شريف مكة كما تعلمون يسعى دائما لبث الدسائس والقاء بذور الخلاف بين عشائرنا ، ولكنه كان دائما يبوء بالخسران ، والله لا يترك الحق يصرعه الباطل . ان شريف مكة قد ورث من أسلافه بغضكم فهو لا يفتأ يطعن في طريقكم السوي وسيرتكم المحمدية ، ولا يألوا جهداً في الافتراء علينا والطعن على علمائنا ولكن أهل الحق لا يضرهم من ناوأهم ، ولينصرنهم الله ما نصروا دينه ، وظاهروا شريعته

« ان شريف مكة لم يكفه ادعاؤه الزعامة على العرب مع أنه أضعفهم بل قام يلقب نفسه بامارة المؤمنين مع أنه يعلم أن الاقطار الاسلامية كلها تبغضه ، وان علماءكم قد أرسلوا التلغرافات الى مصر والهند ينكرون عليه هذه الدعوى التي لا نراه كفوا لها ، ولا بد لنا من وضع حد لاكاذيبه وافساداته

« وأما الحج هذه السنة فلا أراه من مصلحتكم . أنا لا أقبل أن تحجوا بكم

شيء من الضعف أو يلحق بكم نوع من الاذى والضرر ، وإني على يقين أن أخذ مكة والمدينة لا يحتاج الى اكبر مجهود ولكن مكة ليست لنا وحدنا بل هي المسلمين كافة ، وما دمنا لم نضع خطة بالاشتراك مع المسلمين فأنا لا أجيز لكم الاستيلاء على احدى المدن المقدسة

« ان شريف مكة قد لا يمنعكم من الدخول الى مكة ولكن الرجل لا يعدم وسائل الشر فقد يدس من يتحرش بكم لتحدث فتنة في مكة في موسم الحج وفيه المسلمون من كل جنس وإني أكاد أجزم ان هذه خير فرصة له ليهيج علينا العالم الاسلامي الذي أخذيفهمنا ويقترب منا ونقترب منه ، واعلموا أن الامر لا يطول فاصبروا إن الله مع الصابرين »

عندئذ قال العلماء بصوت واحد : انه لا حرج عليكم من تأخير الفريضة هذا العام ، ما دام أن أداءها قد يؤدي الى فتنة في بلد الله الحرام اه

فهذا نص قطعي رسمي من سلطان نجد في مجلس الشورى العام لبلاده في الحامل له على انقاذ الحجاز من هذه الحكومة الطاغوتية القيصرية ، المسماة بالعربية الهاشمية ، لا يحتمل التأويل ، ولا الدعاية السياسية التي لا تعرف في تلك البلاد ولو في غير ذلك المجلس الرسمي ، ولقد صبر سلطان نجد صبراً لم يعهد له نظير من قوي يُعتدى عليه جميع أنواع الاعتداء الدينيه والدنيوية من ضعيف عاجز يصول ويبغي سراً وجهراً حتى يتجرأ على مطالبة هذا القوي في مؤتمر الكويت بأن يترك لامره جل مملكته — أعني اقليم الاحساء الذي استرده سلطان نجد من الدولة العثمانية — وأمارة آل الرشيد الذين ناصبوا بلاده العداء حتى انتزعوها من والده بمساعدة الدولة ثم أدال الله له منه — وامارة عسير التي استولى عليها بالاتفاق الذي عقد بينه وبين المرحوم السيد الادريسي — وتربة والخرمة المختلف عليهما بين حدود الحجاز ونجد ، ورضي ابن سعود باستفتاء أهلهما

ملخص ما تقدم : أن سلطان نجد قد علم هو وأمته بعد التروي واستفتاء

العلماء أن انقاذ الحرمين الشريفين من حسين بن علي واجب شرعا ولو لم يكن لذلك من موجب الا منع أهل نجد من الحج لكفى فكيف اذ أضيف الى ذلك سائر ما أشرنا اليه فيما أجملناه في الاهرام وفصلناه في المنار من الحاده بالظلم لاهل الحرمين والحجاج، وإدخاله للنفوذ الاجنبي في البلاد، وخطره على الامة العربية وما بقي لها من البقعة الصغيرة المستقلة في جزيرتها ، وتكفيره للترك والمصريين كالنجديين ثم تنحله منصب الخلافة

وفي تصريح السلطان عبد العزيز نص قطعي باعترافه هو وعلماء بلاده باسلام جميع الشعوب الاسلامية والرغبة في التعارف والتواد معها وبأن هؤلاء الامراء الحجازيين ورثوا عن سلفهم تكفير النجديين والطعن فيهم والتنفير منهم

وقد استفتينا واستفتي غيرنا في شأن هذا الباغي (الملك حسين) في سنة ١٣٤١ فأفتى بعض علماء الازهر بأنه من البغاة المتغلبين الذين يجب قتالهم على امام المسلمين. وكتبنا نحن فتوى مطولة نشرناها في المنار الذي صدر في ذى الحجة من تلك السنة (ج ٨ م ٢٤ ص ٥٩٣ — ٦١٦) ونشرناها في جريدة الاهرام أيضا أجملنا فيها صفاته وجناياته التي يقتضي بعضها الردة الا أن يوجد ما يدفعها من شبهة ، وأقلها البغي والالحاد بالظلم في الحرم - الى آخر ما لخصناه في هذه المقالات ولكننا استدركنا على من جعل حكمه حكم البغاة متسائلين : أين امام المسلمين الاعظم الذي يجب عليه قتاله ؟؟

ثم بينا أن انقاذ الحرمين من بغيه وظلمه يجب على كل من يقدر عليه من جماعات المسلمين وأمرائهم وان أقدرهم على ذلك سلطان نجد وامام اليمن وذكرنا مايقال في المانع المشترك لهما من ذلك وهو الخوف أن يفضي الى تدخل الانكليز في الحجاز لانه جعله تحت حمايتهم — وقد ثبت هذا بدعوته هو وخلفه المخذول لهم واستنجادهما إياهم لارسال طياراتهم وغيرها لقتال سلطان نجد وإرجاعه عن الحجاز — وذكرنا أنه لا يرجى من امام اليمن أن ينقذ الحجاز — وما كان

يقول أكثر الناس في مثل مصر وسورية من سبب امتناع ابن سعود عن الاستيلاء على الحجاز وهو اصطناع الانكليز له بالمال وتخويفهم إياه من تأليب الحجاز والعراق وعرب فلسطين عليه اذا هو خالف رأيهم في ذلك ، وقولهم انهم هم الذين صرفوه عن أخذ مكة بعد سحقه لاعظم قوة ساقها عليه الحجاز بقيادة الامير عبد الله في تربة — ومن المعلوم أن سبب هذه الآراء دعاية الحجازيين وأقوال جرائدهم المأجورة

ثم ذكرنا أقوال النجديين في سبب ذلك وهي ترجع الى سببين (أحدهما) كراهة السلطان عبد العزيز آل سعود لسفك الدماء وحبه للسلم وانه لذلك أخضع آل الرشيد بالحصار الطويل في أشد أيام العسرة والغلاء (وثانيهما) تحرجه وتأثمه من دخول مكة فاتحا وقد صح في الحديث أن القتال فيها لا يحل لاحد حتى قال بعض العلماء ان أفراد الجناة الذين يثبت شرعا وجوب قصاصهم يجب أن يقتلوا خارج الحرم

ثم ذكرنا أقوال الائمة وكبار العلماء في مسألة القتل والقتال في الحرم وان الشريف حسينا لم يبال بحرمة الحرم فقاتل الترك فيه ولا يزال يقتل كل من يزين له هواه قتله ويسمي فعله حدا شرعيا ، وان المخرج من ذلك سهل وهو كما قال بعض العلماء أن تحصر شقة الحرم وهي محدودة حتى يضطر المعتصم فيه الى التسليم — وقد فعل ذلك الوهابية عند الاستيلاء على الحجاز في فجر القرن الثالث عشر للهجرة فحصروا الشريف غالبا وأعوانه وقطعوا عنهم ماء عين زبيدة حتى اضطروا الى التسليم ، ودخل الوهابيون مكة محرمين

وبذلك عللنا تأخرهم عن فتح مكة في هذه المرة على اختلاف أهواء الكتاب وآرائهم في تعليله، وإرجاف أجراء الوكالة العربية الهاشمية الملكية الامامية الخلفية(١) بمصر في هذه الفرصة تارة بأنهم عادوا أدراجهم مخذولين ، وتارة بانتظارهم

«١» الخلفية بالتحريك نسبة الى كلمة خليفة

الا شارات المطاعة أن ترد عليهم من لندن كانتظار الملك لخليفة حسين أولا وانتظار الملك علي النيابي الدستوري المدني ثانيا !!!

وإنا لنعجب أن صدق هذه الفرية بعض المصريين العارفين بالشؤون العامة ، وسيعلمون أن الانكليز يعدون نجاح الوهابية أكبر الاخطار على مطامعهم في العرب والاسلام

كذلك سوغت لهم هذه الفرصة تكبير أمر هذا القتال بايهام الناس أنه من أعظم الحروب تسيل فيه الدماء أنهاراً في المعارك التي تشيب لهولها الولدان ، وتمثيل الوهابية للناس في صور السباع الضارية والوحوش المفترسة : تبقر البطون ، وتدق الصدور ، وتمزق الاشلاء ، وتلغ في الدماء ، وما حجتهم على ذلك الا البرقية التي طيرها سيلمة لزمان حسين الى جميع بقاع الارض بامضاء بل أسماء مجهولة من سكان مكة وحجاجها وأنفق الالوف عليها ، والحق الواقع أنه لم يكن ثم إلا مناوشات ضئيلة مرتين أو ثلاثا ولولا بعض اليمانيين وغيرهم في جيش الحجاز لما وقع شيء من ذلك يذكر لان أهل الحجاز مجمعون على مقت الطاغوت المرهق ، الذي سمى نفسه المنقذ ، وما زالوا يدعون الله بانقاذهم منه حتى استجاب لهم

وقد بنى على هذه الاراجيف الخاطئة الكاذبة الدعوة الى استصراخ أمم الشرق والغرب من جميع الملل والنحل الى التعاون والسعي لانقاذ البشر من هذه الكارثة التي تصغر دون وقائعها معركة (فردون) وغيرها من معارك حرب المدنية العظمى ، وانما الغرض من ذلك ابقاء حكم الطاغوت الاكبر في حرم الله تعالى يرهق أهله ومن يرد اليه من الحجاج ظلما ويعيث الالوف منهم ظمأ الخ

وقد انخدع بهذه الاراجيف مجلس الامور الشرعية المحلية بفلسطين المسمى بالمجلس الاسلامي الاعلى فطير البرقيات الى ملوك المسلمين وجمعياتهم الدينية وغيرها يستصرخهم للتعاون على ايقاف هذه الحرب حقنا للدماء . . . وكذلك جمعية الرابطة الشرقية التي رددت صدى هذا المجلس في جلسة لم تبلغني دعوتها

الا بعد اجتماعها . ولا شك في حسن نية المجلس والجمعية ، ولو صدقت أراجيف الحجاز لكنت على رأي اخواني فيهما فأنا وكيل هذه الجمعية وأعضاء المجلس كلهم محترمون عندي ورئيسهم من خواص أصدقائي ومن أقرب الناس الى رأيي

قد طالت هذه المقالة وكنا نريد ختم هذه المقالات بها ولكن علمنا بعد كتابتها وقبل نشرها أن الله تعالى قد قضى على الطاغوت الاكبر مثار الشقاق والنفاق حسين بن علي وأنقذ الحجاز منه فخرج من جدة مذؤما مدحورا ، ولو بقي فيه ولو بعد عزله لما أمنت شره ، وسيتقدم قريبا من ولده وولي عهده وخليفته الملك علي المهزوم المدحور ، الذي لم يكد يسمى ملكا للحجاز بعد انهزامه من الطائف أولا ومن الهدى ثانيا ومن كرى ثالثا حتى أبرق الى وكيل والده ناجي الاصيل بأن يمضي المعاهدة البريطانية الحجازية المتضمنة لاقرار الانكليز على السيادة على البلاد المقدسة وتمليك رقبتها لليهود الصهيونيين واعطاء البريطانيين من الحقوق في الحجاز ما قامت قيامة العالم الاسلامي على والده من أجله

وان لنا كلمة ختامية فيما يجب على المسلمين للحجاز وأخرى في السياسة البريطانية مع العرب في هذا الطور الجديد

المقالة الخامسة (*

﴿ ما ينبغي للمسلمين علمه وعمله ﴾

أيها المسلمون

ان الحجاز مهبط دينكم، وفيه بيت ربكم، وهو قبلة صلاتكم، ومشاعر نسككم، وشعائر الله لكم ، فيه يقام الحج الاكبر ، الذي هو ركن الاسلام الاجتماعي الاوحد ، وفيه مقام ابراهيم ، وقبر نبيكم الكريم ، عليهما من الله أفضل الصلاة والتسليم . وقد جاء الاسلام بحرية الاديان الا في حرم الله وحرم رسوله وسياجهما من جزيرة العرب، فهما خاصان بدين الاسلام، وقد امتدت اليهما أيدي

*) نشرت في الاهرام بتاريخ ١٩ ربيع الاول ١٨ أكتوبر

غير المسلمين في هذه الايام

روى الامام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله تعالى عنه قالت خر ما عهد رسول الله (ص) ان قال « لا يترك بجزيرة العرب دينان » وروى أحمد ومسدد والحميدي في مسانيدهم والبيهقي في سننه من حديث أبي عبيدة (رض) قال : آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم « اخرجوا يهود أهل الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب » وفي رواية نصارى نجران

وروى أحمد والبخاري ومسلم من حديث ابن عباس قال : اشتد برسول الله (ص) وجعه يوم الخميس وأوصى عند موته بثلاث «اخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم » قال سليمان الاحول راوي الحديث عن سعيد بن جبير الذي سمعه من ابن عباس : ونسيت الثالثة. وحملها العلماء بالاحتمال على ما صح من وصاياه الاخرى في مرض موته — صلى الله عليه وسلم — كقوله « لا تتخذوا قبري وثنا » وفي موطأ الامام مالك مايشير الى ذلك — أو وفد أسامة — أو الوصية بالنساء والرقيق .

وقد أجلى النبي (ص) بني قينقاع وقريظة والنضير المحاربين له من يهود المدينة وأنذر من بقي من اليهود الجلاء بعد عجزهم عن قتاله ليخرجوا بسلام و يحفظوا أموالهم، فقد روى البخاري في مواضع من صحيحه وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة قال: بينما نحن في المسجد خرج النبي (ص) فقال «انطلقوا الى يهود » فانطلقنا حتى جئنا بيت المدراس (هو بوزن المفتاح العالم الذي يدرس كتابهم) فقال « أسلموا تسلموا ، واعلموا ان الارض لله ورسوله، واني أريد ان أجليكم من هذه الارض فمن يجد منكم بماله (أي بدل ماله) شيئا فليبعه ـ فاعلموا ان الارض لله و رسوله » والمراد أرض المدينة وسائر الحجاز

وروى أحمد ومسلم والترمذي من حديث عمر بن الخطاب (رض) انه سمع رسول (ص) يقول « لاخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع

فيها الا مسلما » ولما كان أبو بكر (رض) لم يتسع له الوقت لتنفيذ هذه الوصية نفذها عمر (رض) فقد روى البخاري عن عبد الله ان عمر والده (رضي الله عنهما) أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز ، وذكر يهود خيبر الى ان قال : اجلاهم عمر الى تيماء واريحاء .

سبب هذه الوصية النبوية معروف دلت الأحاديث الصحيحة وهو ان الله تعالى أطلع رسوله (ص) على ماسيكون من مطاردة الامم لامته وسلبهم اياها ماخولها الله تعالى من الملك ، ومحاولتهم القضاء على دينها بعد القضاء على ملكها ، فأراد ان يكون مهد الاسلام معقلا لها تعتصم فيه ، ولا تجعل للامم التي ستبغي عليه سبيلا التدخل في شؤونه ، كما تفعل الآن دول الاستعمار الكبرى ، وفي مقدمتها حليفة البيت الحسيني في الحجاز بريطانية العظمى : هذه الدولة التي أرادت ان تجعل طائفة القبط وسيلة لحرمان مصر من الاستقلال فلما خيبوا أملها خلقت مسألة الاقليات بدون قيد ، وكلفت نفسها بدون اذنهم ، ان تبقى محتلة لمصر لاجل حمايتهم - هذه الدولة التي خلقت للعراق العربي شعبا اشوريا قضى عليه التاريخ منذ ألوف السنين فقلدته السلاح وحملته على مطالبة جمعية الامم بتأسيس دولة جديدة له في العراق ، لاجل العداء والشقاق ، والتذرع به لابقاء العراق تحت سلطانها الى يوم التلاق . - هذه الدولة التي مازالت تكيد الدولة العثمانية وتتوسل الى اسقاطها بالارمن والروم وغيرهم الى أن سقطت وزالت من الارض فحاولت القضاء على شعبيها الاسلاميين الكبيرين - العرب والترك - فحالت احداث الزمان دون الاجهاز على الشعب التركي ، ووجدت من حسين المكي وأولاده أقوى نصير للقضاء على الشعب العربي ، فلما سلط الله تعالى عليه شعباً شديد الاعتصام بالاسلام ، طرده من الحجاز في هذه الايام ، قامت جرائدهم تدعو بالويل والثبور ، وتنذر قومها الخطر الاسلامي العربي على ما سلبوا من بلاد العرب ان ينفلت من أيديهم

أيها المسلمون ؟ تأملوا الشواهد على صحة قولي هذا لعلكم تتفكرون : روى

مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا الى النبي (ص) قال « ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود كما بدأ ، ويأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها » وروى الترمذي من حديث عمرو بن عوف مرفوعا اليه (ص) قال « ان الدين ليأرز الى الحجاز كما تأرز الحية الى جحرها ، وليعقلن الدين من الحجاز معقل الاروية من رأس الجبل (١) ان الدين بدأ غريبا و يرجع غريبا فطوبي للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس بعدي من سنتي »

وملخص معنى هذه الاحاديث أن المسلمين سيطرأ عليهم الفساد بالبدع حتى يكون الاسلام نفسه غريبا فيهم ومحتاجا الى الاصلاح — وأنهم سيضطهدون بدينهم ولاجل دينهم ، حتى لايجدون ملجأ يعتصمون فيه لاقامته الا معقله الذي ظهر فيه غريبا وهو الحجاز ، فيكون فيه عزيزا قويا كعصم الوعول في شناخيب الجبال . ومن تمام التشبيه ان يستتبع ذلك ما استتبعه أولا من الملك والعمران (إن شاء الله)

أيها المسلمون : الى متى أنتم غافلون ، ان لدولة البريطانية ولية حسين بن علي المكي وأولاده من دون الله والمسلمين هي التي أخذت على نفسها القضاء على دين الاسلام في الشرق بعد القضاء على حكمه . وقد سلكت أقرب الطرق الى ذلك وأقلها خسارة ونفقة ؛ وهو جعل الشعوب الاسلاميـة أسلحة لها تضرب بعضهم ببعض ، الى أن يهلك الجميع وتكون السيادة لها وحدها على بلادهم — وهي هي التي قاتلت المصريين باذن ولاة الامر من السلطان والخديو — وهي هي التي قاتلت السودانيين بالمصريين ، وهي هي التي قاتلت قبل ذلك بعض ملوك الشرق وأمرائه ببعض ولاسيما في الهند ، كما سترون في المنار من مقال للسيد جمال الدين الافغاني (٢) الذي كان أول من نبه الشرق عامة والمسلمين خاصة لعداوتها —

(١) أرز : كعلم وضرب ونصر : تجمع وانكمش وعاد وثبت . والاروية بضم الهمزة وكسر الواو وتشديد الياء انثى الوعول وهي تعتصم في أعلى الجبال

«٢» نشر هذا المقال في ج ٧و٨ وكان الوعد في الاهرام قبل صدورها

وهي هي التي قاتلت الترك بالعرب الذين خدعهم ملك الحجاز وأولاده حتى سلبت منهم أخصب بلادهم وقررت اعطاء البلاد المقدسة منها لليهود ، وجعلهم شعبا جديدا قويا بين مصر وسورية والحجاز، يستعينون به على أهلها من العرب في حرمانهم من رقبة بلادهم وخيراتها — وهي هي التي ألقت العداوة والبغضاء بين امام اليمن والسيد الادريسي — وهي هي التي أغرت العداوة والبغضاء المورثتين بين النجديين وأمراء الحجاز — وهي هي التي أطمعت الطاغوت حسين بن علي بالخلافة الاسلامية وملك العرب كلهم تحت حمايتها، وقد بينا بعض الوثائق الرسمية في ذلك كله

أيها المسلمون: ان العقل وحالة الاجتماع العامة وتقاليد السياسة الانكليزية الخارقة كلها تؤيد معنى ماورد في الحديث الذي صدقته وقائع التاريخ التي أشرنا اليها آنفا من ان الله لا يهلك المسلمين الا بقتال بعضهم لبعض

روى مسلم من حديث ثوبان (رض) قال قال رسول الله (ص) « ان الله زوى لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها (١) وان أمتي سيبلغ ملكها مازوى لي منها ، وأعطيت الكنزين الاحمر والابيض . واني سألت ربي لامتي أن لا يهلكها بسنة عامة ، وأن لا يسلط عليها عدوا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم(٢) وان ربي قال لي يا محمد اني اذا قضيت قضاء فانه لا يرد . واني أعطيتك لامتك ان لا أهلكهم بسنة عامة ، وان لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها — أو قال من بين أقطارها — حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا »

وقد ظهر صدق هذا الحديث في الفتح الاسلامي للشرق والغرب ، ثم في ذهاب ملك المسلمين كما أشرنا اليه آنفا في شأن بعض دول الشرق الاسلامي ومثله دول الغرب القديمة والحديثة فلولا تفرق أهل الاندلس وتعاديهم وتقاتلهم لمازالت

(١) زوى الشيء يزويه جمعه وقبضه والمراد انه تعالى أطلعه عليها

« ٢ » يكنى بالبيضة عن موضع سلطة القوم وملكهم ومستقر قوتهم وما يحمون من حقيقتهم

دولتهم وورثها الاسبانيون ، ولولا مسلمو مراكش لما فتحت فرنسه الجزائر ثم لولا مسلمو الجزائر لما استولت فرنسة على مملكة مراكش

أيها المسلمون ! لا يكن أمركم عليكم غمة في مسألة زحف النجديين لانقاذ الحجاز من صنيعة الاجانب حسين المكي وأولاده . قد بينا لكم بالوثائق الرسمية حقيقة السبب الحامل للسلطان ابن سعود على ذلك وانه اسلامي محض لتأمين فريضة الحج ومنع الالحاد والظلم في الحرم وقطع عروق النفوذ الاجنبي في مهد الاسلام ، المانع من تنفيذ وصية المصطفى عليه الصلاة والسلام

وكذا منع حسين وأولاده مما صرح به رسميا من عزمه على اخضاع جميع حكومات جزيرة العرب لحكمه قبل ادعائه الخلافة فكيف يكون خطره بعد ادعائه حق الولاية العامة عليهم شرعا ؟

أرجف بعض الكتاب الذين يخدمون السياسة الانكليزية من طريق الحجاز بأن سلطان نجد يريد اكراه حسين بضغط على توقيع المعاهدة العربية البريطانية ، فمتى خضع عاد جيش نجد أدراجه ، ورددت جرائد أخرى هذا الارجاف فظهر كذبهم

وارجفوا بأن ابن سعود ينفذ للانكليز في الحجاز ما لم ينفذه حسين وأنهم هم الذين أغروه بالاستيلاء على الحجاز ، فظهر كذبهم أتم الظهور بما نشرته صحيفة إرجافهم بمصر من برقيات لندن — أولا — من خبر الاتفاق بين ابن سعود ونوري باشا الشعلان رئيس قبائل الرولة على سماح الاول للثاني ببقعة الجوف بشرط منع الانكليز من مد سكة حديدية بين فلسطين والعراق — وثانيا — ببرقية التيمس التي أرسلها اليها مراسلها من الاسكندرية الناطقة بأن احتلال ابن السعود للحجاز وموانئه الواقعة على البحر الاحمر مفعم بأخطار شديدة ! ! وأنه يحمل معظم القبائل علي الانضواء الى كنفه والسير تحت لوائه — وأنه يرجح أن ينتقل من انقاذ الحجاز الى انقاذ شرق الاردن وفلسطين وكذا اليمن على احتمال

ثم ان هذا الانكليزي الغيور على الاسلام والعرب طعن في دين الوهابيين

ومذهبهم ووصفهم بالتوحش وكراهة المدنية وظهر خوفه وحذره من اكراههم لغيرهم على اتباع مذهبهم وغيرته على المعاهد المقدسة !! واستدل بهذا كله على انه يجب على الدولة البريطانية وهي أكبر دولة اسلامية (!!!) ان تبادر الى رد الوهابيين عن الحجاز قال « فتنقذ بذلك المعاهد المقدسة في الحجاز من أن تمسها يد الوهابيين بالتدمير والتخريب – وليس ذلك فقط – بل تزيل أيضا خطرا شديدا يهدد البلاد العربية ، وتقضي على عامل يقلق السلم في جزيرة العرب ، فاذا لم تزله زوالا تاما فانها تخفف من حدته كثيرا »

المعنى الصريح المراد من هذا الكلام أن انكلترة ترى من أعظم الخطر على سياستها في البلاد العربية أو الاسلامية أن يوجد في المسلمين أمير مسلم قوي ولا سيما اذا كان مسلما مؤمنا معتصما بدينه مؤيدا بشعب صادق الايمان كابن سعود وقومه، لا يباع ولا يشترى بالذهب الانكليزي ولا بالالقاب الفخمة الضخمة كحسين وأولاده، لان قوة مثل هذه تحول دون نجاح السياسة البريطانية في ازالة الاسلام من الارض من حيث هو دين سيادة وسلطان ، ثم في ازالته من الارض من حيث هو دين عقيدة وايمان ، ويستتبع ذلك احتمال انقاذ ما استعبدته من الشعوب الاسلامية والعربية .

ثم إن مراد كتاب الانكليز وصنائعهم بمصر من نشر هذه الاراجيف والتضليلات تمهيد السبيل لحمل المسلمين في مثل الهند ومصر وفلسطين وسورية على استقباح استيلاء الوهابيين على الحجاز، وتمني اخراجهم منه فتتوسل الدولة البريطانية بذلك الى بذل قوتها لاجلائهم عنه خدمة للاسلام والمسلمين (!!) لانها شديدة الحب لهذا الدين والايمان به ومغرمة القلب بحب المسلمين كافة كما فعلت من قبل في احتلال أوطانهم حبا فيهم وتكريما لدينهم (!!) وهل كان فتحها الصليبي للقدس الشريف واحتفالهم بذلك في جميع كنائسهم الا من آثار هذا العشق والغرام ؟ وهل عليكها رقبة فلسطين لليهود الصهيونيين وتجديد ملك لهم

في قلب بلاد العرب الا من عشق الاسلام والمسلمين كافة ، والعرب منهم خاصة (!!)

يظهر ان مدير التيمس ومراسل التيمس بمصر وأمثالهما لا يزالون يظنون كما ظن رجال الوزارة الخارجية البريطانية ان المسلمين لا يزالون كالبله يصدقون كل ما يقول الانكليز بدليل ان بعض أهل فلسطين وسورية والعراق لا يزالون يعظمون حسينا وفيصلا وعبد الله مع ظهور خياناتهم للامة العربية وجناياتهم على الدين الاسلامي

والصواب الذي يجب ان يعرفه الانكليز هو ان السواد الاعظم من المسلمين صاروا على الرأي الذي سمعته من حسني افندي أحد مشايخ الاسلام المتأخرين في الاستانة وهو: ان كل ما تقول دول أوربة لنا انه مفيد لكم فهو ضار بنا ، وكل ما تقول لنا انه ضار بكم فهو نافع لنا ، فليرجع الساسة الانكليز عن هذه الوسائل السخيفة ، للتنكيل بالامم الضعيفة ، مع ادعاء المقاصد الشريفة ، وليرجعوا عن مطامعهم التي لا حد لها فان ذلك خير لهم

أيها المسلمون : حسبكم ما بينا لكم من الدلائل في هذه المقالات وغيرها على مصاب الاسلام والعرب بهذا البيت الحجازي ووجوب تطهير الحجاز من جناياته على العرب والاسلام ، وقد سخر الله لحرمه من أنقذه بأهون الوسائل فماذا يجب عليكم الان ؟ خذوا رأي أخيكم كاتب هذه المقالات الذي درس مسألة جزيرة العرب وأمرائها وسياسة الاجانب فيها بالعلم والعمل درسا طويلا عريضا عميقا في أكثر من ربع قرن وألخص ما يتعلق منه بموضوعنا في القضايا الآتية :

١ — ان أعظم جناية يجنيها مسلم على الاسلام والمسلمين والعرب السعي لاقرار سلطة علي بن حسين وابقائه ملكا على الحجاز فقد سنحت الآن الفرصة لاعظم إصلاح يمكن أن يقوم به المسلمون في مهد دينهم فاذا اضاعوها يخشى أن لا تعود

قد تولى امارة الحجاز كثيرون من هؤلاء الناس الذين يسمون شرفاء مكة في بضعة قرون فلم يخرج منهم مصلح في علم ولا عمل ولا ديانة ولا سياسة ولا ادارة ، بل كان اكثرهم مفسدين ظالمين ، وأقلهم غير نافعين ولا ضارين ، والدليل

على ذلك سوء حالة الحجاز في جميع هذه القرون، ورجوع بدوه الى شر مما كانوا عليه في الجاهلية، وكون حضره اسوأ حالا من جميع سكان المدن في البلاد الشرقية

وقد كان شرهم وأطمعهم وأشدهم إلحادا وافسادا للدين والدنيا حسين بن علي الذي لم يبلغنا ان أحدا من الامراء أبغضه أهل ملته وذموه مثله . وهذا ولده قد سمي ملكا في أسوإ حال نصب فيها حاكم في أمة أو بلد ينهزم أمام الفاتحين من مكان الى مكان ويستغيث بجميع أهل الملل والنحل من جميع الامم لينقذوه من هؤلاء الفاتحين ، ثم هو يقر حكومة والده الممقوتة برجالها كلهم ويبدأ أعماله السياسية بأمر وكيل والده في لندن بعقد تلك المعاهدة التي بين فسادها كتاب المسلمين في مشارق الارض ومغاربها

٢ — إنه لم يكن يوجد في الدنيا شعب اسلامي غير النجديين يمكنه انقاذ الحجاز من الخطر الذي كان محيطا به بعد احتلال الاجانب لفلسطين وسورية والعراق، واستيلائهم على سكة الحديد الحجازية من جانب العمران ، وقد كان هذا البلاء المبين بمساعدة هذا البيت الحجازي . وها نحن أولاء نسمع ونقرأ ما يهدد الانكليز به الحجاز من عدم السماح لقوة اسلامية تؤسس فيه لئلا تكون خطرا على ما صاروا يعدونه ملكا لهم من بلاد العرب التي يزعم حسين وأولاده أنهم نقذوها (فلسطين وشرق الاردن والعراق)

ولا يخفى عليكم أن مقتضى القاعدة السياسية الانكليزية وجوب الاستيلاء التام على الحجاز واحتلاله بالقوة العسكرية ان لم تكن تحت الاشراف البريطاني لاجل الامن على المواصلات البريطانية بين فلسطين والعراق

٣ — اعلموا أنه لا توجد حكومة اسلامية غير حكومة نجد تقدر الآن على حفظ الامن في الحجاز ومنع التعدي على الحجاج ، ثم على اصلاح حال قبائل الاعراب فيه ومنعهم من الغزو لمجرد التعدي أو الكسب والنهب ، فيجب أن يعضدها جميع العالم الاسلامي ، وسيرون صحة قولي في هذا كما رأوه في غيره

ولاسيما الارجاف الاخير بالخوف على الكعبة المشرفة أن يهدمها الوهابيون أو يمزقوا استارها ، وأمثال هذه الاكاذيب التي كان يذيعها الانكليز ومروجو سياستهم الحجازية في مصر وسورية فقد دخلوا مكة كما دخلها أجدادهم في فجر القرن العشرين معتمرين فطافوا بالكعبة المعظمة وقبلوا الحجر وصلوا سنة الطواف ثم الفريضة وآمنوا جميع الاهالي من كل اعتداء فلم يعتدوا على احد ، وسيلغون جميع الضرائب والمغارم التي أرهق حسين بها الناس . ولما علم ذلك عاد الذين كانوا فارين من مكة الى جدة من الطريق ولا بد أن يكون جميع الذين فروا الى جدة قبل ذلك قد ندموا لتصديقهم الملك السابق والملك اللاحق بأن الوهابية سيمزقون أشلاءهم ، ويبقرون بطون نسائهم، ويقطعون أعضاء أطفالهم على مرأى منهم ، ثم ينهبون جميع ما يملكون . . .

٤ — انه لا يليق بالاسلام، ولا ببيت الله الحرام ، أن يكون في مكة وهي البلد الامين، والمعبد الاعظم للمسلمين، ملك قاهر مستعل على الناس يقتل ويسجن ويعذب ويفرض الغرامات ويعادي جيرانه ويقاتلهم ، بل يجب أن يكون فيها حكومة يديرها مجلس شرعي منتخب من خيار علمائها وعلماء الشعوب الاسلامية الاخرى ويكون لهم رئيس يختارونه من أنفسهم في كل سنة ولا يكون لاي فرد من الافراد أن يستبد بأي أمر في حرم الله برأيه

٥ — يجب أن يكون الحجاز قطراً على الحياد لا يقاتل ولا يقاتل ولا يكون لاحد من الاجانب غير المسلمين نفوذ فيه ولا حق سكنى ولا ملك ولا حماية أحد من الحجاج ولا من غيرهم . ولا يوجد مسلم يعرف دينه يرضى أن يكون بلد الله الامين تحت حماية حاكم غير مسلم أو يجعل نفسه ذريعة لتدخله في شؤونه ، واهانته لحكومته الاسلامية . واذا كان قد عهد من أجهل المسلمين التابعين لدول غير اسلامية الصبر الجميل على ظلم أمراء مكة القبيح ولم يستحلوا أن يشكوا ذلك لحكوماتهم فكيف يكون شأنهم اذا صارت حكومة الحجاز

شرعية شورية لا استبداد فيها ولا مجال للاستبداد

٦ — يجب أن يكون الحجاز مهد العلم والصلاح والاصلاح . وقد ألفت في القاهرة جمعية اسلامية عامة للسعي لما يجب من تأمينه وحياده السلمي باعتراف جميع الدول ومن الاصلاح فيه اسمها (جمعية السلم العام في بلد الله الحرام) وستعلن الدعوة اليها

٧ — ان ما أشرنا اليه ونقلنا بعضه في المقالة الرابعة من أقوال سلطان نجد وبلاغي نجله وما لدينا من الاطلاع الخاص يعطينا اعتقادا جازما بأن السلطان عبد العزيز بن سعود يقبل بكل ارتياح أو يدعو الى عقد مؤتمر اسلامي في مكة المكرمة يؤلف من خواص مسلمي الشعوب الاسلامية للبحث وتقرير النظام الذي أشرنا اليه ، كما أنه سيرسل وفدا من علماء نجد الى مؤتمر الخلافة الذي سيعقد في مصر ، فهل كان أحد من المسلمين يطمع في شيء من هذا قبل انقاذ هذا الرجل العظيم للحجاز من قبضة الطاغوت ؟

المقالة السادسة (*

﴿ ماذا يفعل الوهابيون بالحجرة النبوية وقبة الحرم الشريف ﴾

كثر المثنون علينا من قراء هذه المقالات من العلماء والفضلاء قولا وكتابة على ما بينا لهم من الحقائق ، مؤيدة بالدلائل والوثائق ، كما كثر طلاب (الهدية السنية ، والتحفة الوهابية النجدية) حتى صارت تطلب من الاقطار البعيدة ، ووزعت منها ألوف عديدة ، وكثر السائلون لنا عما يشتبه عليهم من هذه الرسالة ومن أقوال الجرائد ، فأما من يلقوننا منهم فاننا نجيب كل سائل بقدر ما يتسع الوقت ، وأما الذين يكتبون الينا منهم فنعتذر لهم ، بأننا لا نجد وقت فراغ من

(*) نشرت فى الاهرام بتاريخ ٢٦ ربيع الأول ٢٥ اكتوبر

أعمالنا الضرورية نصرفه في الكتابة لهم وان كنا نعتقد أن الكتابة مفيدة لمن أراد أن يستفيد

ومن الاسئلة الكتابية سؤال أرسل الينا من طريق جريدة الأهرام هو أجدرها بأن لا يجاب عنه، وإن كان مرسله مستعجلا لا بمراء، إذ هو يسأل عما يفعل الوهابيون بالحجرة النبوية اذا هم فتحوا مكة والمدينة، ويقيم عليهم الحجة اذا هم فعلوا ما زعم أنهم يدينون الله تعالى به وإذا هم لم يفعلوا على سواء. فأنا لا يعنيني ان أبحث في أمر المستقبل وما عسى أن يفعل الوهابية فيه، ولا يعنيني أن يخطيء القوم في أمر فتقوم به عليهم الحجة! وقد عملوا شيئا يسلم المسلمون غيره، ذلك، زعم من تشدده في الدين غير معذور عندنا فقد وقع منهم خطأ فقد وقع ممن هم خير منهم كالصحابة الذين قتلوا جماعة أسلموا بأمر خالد بن الوليد (رض) لانه لم يثق باسلامهم فلما أخبر النبي (ص) بأمرهم قال « اللهم أبرأ اليك مما فعل خالد، اللهم إني أبرأ اليك مما فعل خالد» رواه البخاري وغيره

ولكنني وجدت باعثا دينيا دعاني للاجابة عن هذا السؤال الذي هو غير جدير بالاجابة عنه لذاته، وهو أن أبين للجماهير من الناس الذين لم يطلعوا على كتب السنة أصح ما ورد في هذا الباب، مع فوائد أخرى تتعلق بما في السؤال من الاحتجاج، اقتداء بما ورد في آخر كتاب العلم من صحيح البخاري في (باب من أجاب السائل بأكثر مما سأله)

وهذا نص السؤال:

السلام عليكم، وبعد: أرأيتك يا أستاذ، لو تم للاخوان الوهابيين فتح مكة والمدينة، أيهدمون قبر النبي صلى الله عليه وسلم، أعني يحطمون ما حوله من بناء وما فوقه من قباب، اذ أنهم يدينون بتحريم ذلك، ويعتقدون أنها بدع يجب استئصالها....؟

وهل لا يغضب العالم الاسلامي لمثل ما يأتون اذا حصل...؟ واذا

راعى الاخوان في ذلك شعور العالم الاسلامي ويحاشوا تلك الاعمال عند هذا المقام ، فما معنى تلك الاسطر الكثيرة التي خطوها في هذا الباب ؟ أو هل كان النص تنقطع سلسلة اتباعه هنا ، فهو مقصور على قبر غير النبي (ص) . . . ؟

عجل ياسيدي باجابتي وتقبل جزيل احتراماتي الخاص

محمد ابراهيم خليل ببولاق

جواب السؤال :

(١) الذي نظنه أن الوهابيين لا يهدمون الحجرة التي فيها القبر الشريف ما قاله السائل من أنهم يدينون الله تعالى بتحريم ذلك البناء ويعتقدون أنها وبدع يجب استئصالها — فيه نظر فان البدع المخالفة لصريح السنة هي اتخاذ القبور مساجد بأن يدفن الميت في المسجد أو يبنى المسجد على القبر . . . كما يعلم مما يأتي . وقبر النبي صلى الله عليه وسلم منفصل من المسجد في بناء وحده كان بيت زوجه عائشة رضي الله عنها وعن أبيها فالذي يصلي في المسجد لا يعد مصليا الى القبر ، واذا كان بعض الناس يدخل الحجرة الشريفة فيصلي الى القبر يعدول منعه

وقد استولى القوم على الحرمين الشريفين في فجر القرن الثالث عشر الهجري (الموافق لاول القرن التاسع عشر الميلادي) ولم يهدموا الحجرة الشريفة ، ولكن روى بعض المؤرخين أنهم ازالوا من فوق قبة الحرم النبوي الشريف ما كان من شكل الهلال والكرة المذهبين ، وانه كان من مرادهم هدم القبة ولكن سقط اثنان من الفعلة الذين صعدوها لازالة الكرة والهلال الذهبيين فماتا فامتنعوا من هدم القبة لذلك ، والمعلوم قطعا أنهم لم يهدموا ابنية الحرم ولم يحدثوا اعتداء ولا تغيير في القبر الشريف ، وربما كان نزع الكرة والهلال لاعتقادهم أنهما من الذهب فرأوا أن الانتفاع بهما في خدمة الدين التي يعتقدون القيام بها أولى من وضعهما فوق القبة . على أن هذا الزخرف في بناء المساجد ليس من الدين في شيء بل هو من البدع التي تفاخر بها الملوك فأنكرها عليهم بعض العلماء وسكت عنها بعضهم

خوفا منهم، أو لانهم عدوا الكثير منها من البدع الدنيوية التي لا تمس العقائد ولا العبادات . ثم ابتدع هؤلاء الملوك بناء المساجد على قبورهم فكانوا يوصون بذلك فينفذه أخلافهم . وهو محرم بالنصوص الصحيحة الصريحة فأنكره قليل من العلماء الربانيين ،وسكت عنه الآخرون خوفا من شرهم، أو طمعا في برهم، كما يعلم من الشواهد التي نزيدها على جواب السائل الفاضل

(٢) ان العالم الاسلامي يغضب أشد الغضب ان هدموا القبة الخضراء أو شيئا من جدران الحجرة الشريفة، لان هذه المظاهر الفخمة والزخارف الجميلة تعد في عرف جميع العوام وكثير ممن يسمون الخواص من قبيل شعائر الاسلام ، والمشعر الحرام، بل هي عندهم أفضل من الركن والمقام ، واهم من الصلاة والصيام ، ومنهم من يذهب الى الحجاز لاجل الزيارة ولا يخشع لا لرؤية هذه المباني الفخمة. فاذا كان في ازالة شيء منها مصلحة من بعض الوجوه كالرجوع في الامور الدينية وما يتعلق بها الى مثل ما كانت عليه في عصر السلف والتمييز بين ما هو مطلوب شرعا وما هو محظور أو غير مطلوب — فان فيه مفسدة أكبر والحال في أكثر البلاد الاسلامية على ما ذكرنا حتى صح فيها ما ندوه به خطباء المنابر من تحول المعروف منكرا والمنكر معروفا. ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح بشرطه المعروف عند العلماء

(٣) اذا راعى الاخوان شعور العالم الاسلامي في ترك بعض المنكرات المتفق على حظرها على حالها درءا للمفسدة ، واتقاء لتنفير الكثير من عن الاصلاح المقصود من انقاذ البلاد المقدسة ، يكون عملهم هذا موافقاً للشرع ، وقد علمنا مما دار في مؤتمر الشورى في عاصمة نجد أن العلماء أفتوا السلطان بجواز تأخير أداء فريضة الحج في الموسم الاخير اذا كان يترتب على أدائه مفسدة راجحة، ووجود الحجرة النبوية نفسها ليس من المنكرات بل هو المعروف المتواتر خبره في كتب السنة كالمسجد النبوي وانما تغير شكل البناء، وأمره هين لا يذكر مع تركهم

الحج خوفا من المفسدة

ومن دلائل السنة في هذه المراعاة بهذا القصد ما ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة (رض) أن النبي (ص) كان كارها لما عليه بناء قريش للكعبة مقتصرة من جهة الشمال عن قواعد جده ابراهيم (عليهما وآلهما الصلاة والسلام) من جعل بابها مرتفعا ليدخلوا من شاؤوا ويمنعوا من شاؤوا، وانه كان (ص) يود لو نقضها فأعاد بناءها على اساس ابراهيم وجعل لها بابين لاصقين بالارض ليدخل كل من أراد من باب ويخرج من الآخر. وما منعه من ذلك لا حداثة عهدهم بالكفر والجاهلية كما صرح به لعائشة والحديث في ذلك مكرر في الصحيحين وغيرهما، فاذا كان المعصوم (ص) خاف أن تنكر قلوب حديثي العهد بالشرك من المؤمنين هدمه للكعبة وبناءها على أتم وأفضل مما بناها عليه المشركون فمراعاة الاخوان مثل ذلك يعد عملا شرعيا

الزيادة على الجواب

اذا اراد السائل وأمثاله نصا عن الائمة المجتهدين في هذه المباني الفخمة والزينة في الحرم النبوي الشريف فليراجع ما قاله العلامة الشاطبي في كتابه الاعتصام في بحث الشروط التي تشترط لعد البدع من المعاصي الصغائر كبائر حتى اذا ما بلغ الشرط الثالث وهو «أن لا تفعل البدعة في المواضع التي هي مجتمعات الناس والمواضع التي تقام فيها السنن وتظهر فيها أعلام الشريعة» يجد من الدلائل على هذا الشرط ما نصه :

« قال أبو مصعب قدم علينا ابن مهدي فصلى ووضع رداءه بين يدي الصف فلما سلم الامام رمقه الناس بابصارهم ورمقوا مالكا (هو الامام مالك بن أنس) وكان قد صلى خلف الامام فلما سلم : قال من ها هنا من الحرس ؟ فجاءه نفسان فقال خذا صاحب هذا الثوب فاحبساه. فحبس، فقيل له انه ابن مهدي (أي قيل لمالك ان هذا الذي حبس هو عبدالرحمن بن مهدي الامام المشهور وهو من

أقران مالك في الحديث) فوجه اليه وقال له : ما حملك لله يا ابن مهدي أن وضعت ثوبك بين يديك في الصف وشغلت المصلين بالنظر اليه وأحدثت في مسجدنا شيئا ما كنا نعرفه ؟ وقد قال النبي (ص) « من أحدث في مسجدنا حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » فبكى ابن مهدي وآلى على نفسه أن لا يفعل ذلك في مسجد النبي (ص) ولا في غيره . وفي رواية ان عبد الرحمن بن مهدي اعتذر بانه ثقل عليه رداؤه من شدة الحر فوضعه ولم يقصد مخالفة من مضى . أي في عدم إحداث شيء جديد في مسجده (ص)

فاذا كان امام دار الهجرة يرى أن من مخالفة الحديث الشريف الذي رواه هو ومن بعده من أصحاب الصحيح والسنن ان يضع المصلي رداءه أمامه لان هذا لم يكن في عهده صلى الله عليه وسلم ، وكل ما لم يكن في عهده يصدق عليه انه إحداث وابتداع فيه يستحق صاحبه تلك اللعنة الشاملة المحيطة فما القول عنده في سائر الاحداث ؟

والامام مالك متفق على جلالته واجتهاده ويلقبه بعض المحدثين حتى من غير المالكية بالامام الاعظم ، ولكنه لو خرج اليوم من قبره ، واراد أن يجعل المسجد النبوي كما كان في عصره ، لرجمه جماهير المسلمين بالحجارة وفي مقدمتهم أتباع مذهبه من المغاربة والسودانيين والمصريين

نكتفي بهذا القدر من الزيادة الآن وسنذكر في المقال المتمم لهذه الفتوى بعض الاحاديث المحتج بها في أحكام القبور والمساجد واقوال بعض كبار الفقهاء من غير الحنابلة لان هذه فرصة تنبهت فيها الاذهان للتمييز بين السنن والبدع

﴿ المقالة السابعة ﴾

القبور ومساجدها وقبابها

قد عم الجهل بالاسلام حتى صار الوف الالوف من المسلمين جنسية لا هداية

(١) نشرت جريدة الاهرام بتاريخ ٢٩ في ربيع الاول و ٢٨ اكتوبر

يعدون بعض الحق من عقائده وآدابه وأحكامه باطلا، والباطل من البدع المحدثة فيه حقا ، وسبب هذا اهمال التعليم الديني والارشاد الاسلامي ، وترك فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فانقلب الامر وانعكس الوضع ، فصار الكثيرون يعدون كثيرا من المعروف منكرا ومن المنكر معروفا حتى في الامور المتعلقة بصحة الايمان

ولما فشت البدع ورسخت صارت مألوفة وعز على المشتغلين بالعلم أن يطبقوا على أصحابها أحكام الشرع في أحكام الردة والخروج من الاسلام وأحكام رد الشهادة ثم صار بعضهم يتأول لهم ولو بالتمحل البعيد عن النقل والعقل

لهذا اضطرب الناس في الاصلاح والتجديد الديني الذي قام به الشيخ محمد عبد الوهاب الحنبلي السلفي في نجد وأولاده وأحفاده وتلاميذهم بتأييد أمراء نجد سعود وآل سعود لانهم أقاموا أحكام الاسلام بالعلم والعمل والتأييد بالحكم النافذ — فرأى أمراء الحجاز المفسدون مجالا واسعاً لاتهامهم بتكفير المسلمين واستباحة دمائهم — ووافقتهم الدولة العثمانية يومئذ على ذلك لإماتة ذلك الاصلاح لئلا يفضي الى تأسيس دولة عربية قوية في بلاد العرب ، مع أن الدولة كانت تعد فرق الباطنية كالنصيرية والاسماعيلية والدروز مسلمين اذ كانت أبعد الحكومات الاسلامية عن التكفير وعن مقاومة البدع، الا ان يكون لاجل السياسة كقتالها للايرانيين ، وكل من هذا وذاك دوران مع السياسة يدل عليه أن الشعب التركي يثني على الوهابيين اليوم وتتمنى جرائده لهم الفوز بالاستيلاء على الحجاز لان الحجاز قد خرج من دائرة دولتهم وكان المتغلب عليه عدوا لهم

أشهر ما اشتهر من اصلاح الوهابيين الذي سماه الجاهلون بدعة أو مذهبا جديدا أو دينا محدثا منع البدع والمعاصي المتعلقة بقبور الانبياء والاولياء وأهل البيت . واننا ننشر للجمهور الآن بعض ما ورد في ذلك من الاحاديث النبوية وأقوال بعض الفقهاء المشهورين من المجتهدين والمنتمين الى المذاهب المشهورة

يميزوا به الحق من الباطل والهدى من الضلال

جاء في كتاب الزواجر للفقيه الشهير احمد بن حجر الهيتمي الشافعي المولود بمصر سنة ٩٠٩ والمتوفي بمكة سنة ٩٧٣ — ما نصه :

﴿ الكبيرة ٩٣—٩٨ ﴾

(اتخاذ القبور مساجد وايقاد السرج عليها واتخاذها أوثانا والطواف بها واستلامها والصلاة اليها)

أخرج الطبراني بسند لا بأس به عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال : عهدي بنبيكم قبل وفاته بخمس ليال فسمعته يقول « انه لم يكن نبي الا وله خليل من أمته وان خليلي أبو بكر بن أبي قحافة ، وان الله اتخذ صاحبكم خليلا ، ألا وان الامم قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد واني أنهاكم عن ذلك ، اللهم اني بلغت » ثلاث مرات ، ثم قال « اللهم أشهد » ثلاث مرات الحديث. والطبراني «لا تصلوا الى قبر ولا تصلوا على قبر »(١) واحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان عن ابن عباس رضي الله عنهما « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » ومسلم « ألا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد فاني أنهاكم عن ذلك» واحمد « ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد » واحمد وابو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم « الارض كلها مسجد الا المقبرة والحمام » والشيخان وابو داود « قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » واحمد عن أسامة واحمد والشيخان والنسائي عن عائشة وابن عباس ومسلم عن أبي هريرة بمعناه (٢) واحمد والشيخان والنسائي « أولئك اذا

(١) كل ما وضع بين هذه العلامة «   » فهو حديث نبوي شريف

« ٢ » وفيه زيادة «والنصارى» وباقي الحديث بعده وكان ذكره (ص) كنيسة في الحبشة فيها صور الخ

كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة » وابن حبان عن أنس « نهى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة الى القبور » واحمد والطبراني « ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ومن يتخذ القبور مساجد » وابن سعد « الا أن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك » عبد الرازق « ان من شرار الناس من يتخذ القبور مساجد » وأيضا « كانت بنو اسرائيل اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد فلعنهم الله تعالى ثم قال المصنف بعد سرد هذه الاحاديث :

﴿ تنبيه ﴾ عد هذه الستة من الكبائر وقع في كلام بعض الشافعية وكأنه أخذ ذلك مما ذكرته من هذه الاحاديث ووجه أخذ اتخاذ القبر مسجداً منها واضح لانه لعن من فعل ذلك بقبور أنبيائه وجعل من فعل ذلك بقبور صلحائه شر الخلق عند الله يوم القيامة ، ففيه تحذير لنا كما في رواية : « يحذر ماصنعوا »(١) أي يحذر أمته بقوله لهم ذلك من أن يصنعوا كصنع أولئك فيلعنوا كما لعنوا . واتخاذ القبر مسجدا معناه الصلاة عليه أو اليه وحينئذ فقوله « والصلاة اليها » مكرر ، الا أن يراد باتخاذهامساجد الصلاة عليها فقط (٢) .

« نعم انما يتجه هذا الاخذ ان كان القبر قبر معظم من نبي أوولي كما أشارت اليه رواية « اذا كان فيهم الرجل الصالح » ومن ثم قال أصحابنا: تحرم الصلاة الى قبور الانبياء والاولياء تبركا واعظاما فاشترطوا شيئين : أن يكون قبر معظم وأن يقصد بالصلاة اليه ومثلها الصلاة عليه التبرك و الاعظام. وكون هذا الفعل كبيرة ظاهر من

---

(١) هذه الجملة من كلام عائشة قالتها بعد رواية لعنه (ص) لمن اتخذوا القبور مساجد تعليلا للعن « ٢ » المتبادر بقرينة ما فعل أهل الكتاب ان منه بناء المساجد عليها وجعلها منسوبة اليها كما وضحه (ص) بقوله « اولئك اذا كان فيهم الرجل الصالح » الخ

الاحاديث المذكورة لما علمت ، وكأنه قاس على ذلك كل تعظيم للقبر كإيقاد السرج عليه تعظيما له وتبركا به والطواف به كذلك وهو أخذ غير بعيد سيما وقد صرح في الحديث المذكور آنفا بلعن من اتخذ على القبر سرجا فيحمل قول أصحابنا بكراهة ذلك على ما اذا لم يقصد به تعظيما وتبركا بذي القبر

« وأما اتخاذها أوثانا فجاء النهي عنه بقوله (ص) « لا تتخذوا قبري وثنا يعبد بعدي » أي لا تعظموه تعظيم غيركم لأوثانهم بالسجود له أو نحوه (٢) فان أراد ذلك الامام بقوله : واتخاذها أوثانا — هذا المعنى اتجه ما قاله من ان ذلك كبيرة بل كفر بشرطه ، وإن أراد أن مطلق التعظيم الذي لم يؤذن فيه كبيرة ففيه بعد. نعم قال بعض الحنابلة قصد الصلاة عند القبر متبركا به عين المحادة لله ورسوله وابداع دين لم يأذن به الله للنهي عنها ثم اجماعا فان أعظم المحرمات وأسباب الشرك الصلاة عندها واتخاذها مساجدا أو بناؤها عليها والقول بالكراهة محمول على غير ذلك اذ لا يظن بالعلماء تجويز فعل تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم لعن فاعله

«وتجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التي على القبور اذ هي أضر من مسجد الضرار لانها أسست على معصية الرسول (ص) لانه نهى عن ذلك وأمر (ص) بهدم القبور المشرفة . وتجب ازالة كل قنديل أو سراج على قبر ولا يصح وقفه ونذره انتهى (راجع صفحة ١٦١ — ١٦٣ من الزواجر المطبوع بالمطبعة الوهبية بمصر سنة ١٢٩٣)

وقد أشار بقوله إن النبي (ص) أمر بهدم القبور المشرفة الى الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه وغيره عن أبي الهياج الاسدي قال : قال لي علي : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أن لا تدع تمثالا الا طمسته ولا قبرا مشرفا الا سويته . قال الامام النووي في شرحه لهذا الحديث: قال الشافعي في الام : ورأيت الائمة بمكة يأمرون بهدم ما يبني . ويؤيد الهدم

«١» أي كالطواف به كما صرح به المؤلف آنفا ومثله التمسح به او بقفصه للتبرك او الاستشفاء

قوله « ولا قبرا مشرفا الا سويته » اهـ

فهل كان ابن حجر والنووي قبله والامام الشافعي قبلهما من الوهابية ؟ وهل كان ثمة المسلمين بمكة في عصر الشافعي أعلم واهدى أم حسين طاغوت الحجاز في عصرنا الذي أمطر المنافقين برقيات في الطعن على الوهابية بهدم قبر ابن عباس (رضي الله عنهما)

ان أمر النبي (ص) لعلي كرم الله وجهه حين أرسله الى اليمن بطمس التماثيل وهدم القبور المشرفة وتسويتها بالارض – ثم أمر علي عامله أبا الهياج الاسدي بذلك وعمل أئمة المسلمين بذلك في خير القرون كان لسد ذريعة تعظيم القبور تعظيما دينيا اذ هو من أعمال الشرك ، فهل ننكر هدمها وهدم القباب والمساجد التي عليها بعد ما وقع المحذور ، وارتكب المحظور ؟

حدثني الشريف محمد شرف عدنان باشا حفيد الشريف عبد المطلب الذي كان أعقل رجل في شرفاء مكة أنه رأى رجلا في مسجد ابن عباس بالطائف يصلي مستقبلا القبر مستدبرا القبلة فظن أنه أعمى قد أخطأ القبلة فأخبره بذلك وجاء ليحوله الى القبلة فرآه بصير العينين وأبى أن يتحول معه فعلم أنه متعمد فقال لبعض الخدم : أخرجوا هذا المشرك من المسجد

فالامر المشاهد الذي لا شك فيه أن هذه القبور المعظمة تعظيما دينيا لم يأذن به الله قد كانت سببا لمنكرات كثيرة أخرى منها هو شرك صريح لا يحتمل التأويل ومنها ما يحتمله احتمالا قريبا أو بعيدا ، ولكن لا يجوز أن يجعل الاحتمال مسوغا للسكوت عنه واقرار أهله عليه وانما قد يجوز ذلك في درء الكفر عن شخص معين — ومنها ما هو معصية كبيرة ومنها ما هو صغيرة وكلاهما كثير جدا لا خلاف بين المسلمين فيه ولا في أن استحلال المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة كفر وخروج من الملة . وقد فصل العلماء الناصحون ذلك في كتب كثيرة أشهر المطبوع منها كتاب المدخل للعلامة ابن الحاج المالكي الفاسي المتوفي في

مصر سنة ٧٣٧ ومما ذكره أن العلماء أفتوا بهدم بنيان البيوت التي على القبور (الاحواش) كما في الصفحة ٢٧٤ من الجزء لاول وفصل المفاسد الموجبة لذلك

وقال الامام الشوكاني المجتهد في شرح حديث أبي الهياج الاسدي من كتابه (نيل الاوطار) ما نصه : « ومن رفع القبور لدخل تحت الحديث دخولا أوليا القبب والمشاهد المعمورة على القبور وأيضا هو من اتخاذ القبور مساجد وقد لعن النبي (ص) فاعل ذلك كما سيأتي . وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الاسلام (منها) اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للاصنام ، وعظم ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ورفع الضرر فجعلوها مقصدا لطلب قضاء الحوائج ، وملجأ لنجح المطالب ، وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم ، وشدوا اليها الرحال ، وتمسحوا بها واستغاثوا . وبالجملة فانهم لم يدعوا شيئا مما كانت الجاهلية تفعله بالاصنام لا فعلوه ، فانا لله وانا اليه راجعون

« ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لا نجد من يغضب لله ويغار حمية للدين الحنيف لا عالما ولا متعلما ولا أميرا ولا وزيرا ولا ملكا . وقد توارد الينا من الاخبار ما لا يشك معه أن كثيرا من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم اذا توجهت عليه يمين من قبل خصمه حلف بالله فاجرا فاذا قيل له بعد ذلك احلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني تلعثم وتلكأ وأبى واعترف بالحق وهذا من أبين الادلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال أنه تعالى ثاني اثنين وثالث ثلاثة

« فيا علماء الدين ، ويا ملوك المسلمين ، أي رزء للاسلام أشد من الكفر ؟ وأي بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله تعالى ؟ وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة ؟ وأي منكر يجب انكاره ان لم يكن انكار هذا الشرك البين واجبا ؟ اه المراد منه (ص ٢٣٤ ج ٣ من نيل الاوطار المطبوع بالمطبعة الاميرية بمصر)

والامام الشوكاني هذا رسالة خاصة في هذا الموضوع نشرت في المجلد الثاني

والعشرين من المنار ، وللعلامة المحدث محمد بن اسماعيل الوزير رسالة في معناها اسمها (تطهير الاعتقاد عن أدران الالحاد) نشرت في المجلد الثالث والعشرين منه — وقد طبعنا على حدة — وقد ذكر الاخير شبهة بعض الناس في قبة المسجد النبوي الشريف بعد أن بين أن مبتدعي بناء القباب والمساجد على القبور هم ملوك الاعاجم الجاهلون فقال :

« فان قلت : هذا قبر رسول الله (ص) قد عمرت عليه قبة عظيمة أنفقت فيها الاموال (قلت) هذا جهل عظيم بحقيقة الحال ، فان هذه القبة ليس بناؤها منه (ص) ولا من أصحابه ولا من تابعيهم وتبع التابعين ، ولا من علماء أمته وأئمة ملته ، بل هذه القبة من ابنية بعض ملوك مصر المتأخرين وهو قلاوون الصالحي المعروف بالملك المنصور في سنة ٦٧٨ ذكره في (تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة) فهذه أمور دولية لا دليلية يتبع فيها الآخر الاول » اهـ

فقد علم القراء بهذا النقول أن الوهابية لم يبتدعوا في هـذا الامر بل اتبعوا الادلة وأقوال الائمة من المحدثين والفقهاء المنتمين الى المذاهب المشهورة الحنبلي فقط بعد ترك الجماهير لها لا مذهبهم (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)

وانا ندعو بالخير لمن سأل فكان سبب هذا البيان ، وقد بلغنا ما علمنا به أننا أخطأنا في فهمنا أنه أراد به الاحتجاج ، والنية حسنة ولله الحمد في كل حال.

الوهابيون والحجاز

عود على بدء

المقالة الاولى (*

مقدمة

كنا كتبنا بضع مقالات في هذه المسألة في أول العهد بزحف الاخوان لانقاذ الحجاز من إرهاق الطاغوت حسين بن علي وما يرجي أن يتبع ذلك من انقاذ جزيرة العرب كلها من الاستعباد الاجنبي — فكان لها من التأثير فوق ما قدرناه لها حتى إن حقها دحض أباطيل الدعاية الحجازية القديمة في الطعن بدين أهل نجد منذ قرن وثلث قرن باختلاق الشريف غالب أمير مكة في عهد ظهور الاصلاح الذى قام به الشيخ محمد عبد الوهاب ، وأخرس ألسنة الدعاية الجديدة التى اختلقها الشريف حسين الذي ادعى انه ملك العرب وخليفة المسلمين

ثم عرضت لنا شواغل كثيرة عاقتنا عن مواصلة الكتابة فيما فتح امامنا من أبواب المسائل الكثيرة في هذا الموضوع فنشطت في هذه الفترة الدعاية وبذل في سبيلها المال بسخاء فوق المعتاد ، وتجرأت حكومة الشريف علي بن حسين المحصورة في ميناء جدة ودعاتها على ضروب من الكذب والبهتان لم يتجرأ على مثلها حسين بن علي ودعاته ، حتى انهم انبروا على كاتب هذا المقال وهو أول من هتك أستارهم ، وتتبع عوارهم ، وقلم أظفارهم ، فزعموا أن حكومة جدة عثرت على كتاب منا أرسلناه الى السلطان عبد العزيز بن السعود آذناه فيه بانصراف القلوب عنه وتصويب سهام الانكار اليه ، وقد طال العهد على هذه الفرية ولم

(*) نشرت في عدد الاهرام الذي صدر في ١٩ رجب (١٣ فبراير)

نجد فرصة نكذبها فيها ونفضحهم بمطالبتهم بنشر صورة هذا الكتاب مأخوذة عن خطها ، وكثر إلحاح المطالبين لنا بالعودة الى الكتابة لرد أمثال هذه المفتريات، وكشف ما يحوم حولها من الشبهات . لان بعض المخاصين اغتروا بها ، وصدقوا أن علي بن حسين الف ملكا جديدا في الحجاز ، مخالفا لوالده في سياسته ، وان في جدة حزبا وطنيا مؤلفا من زعماء الحجاز وأهل الرأي فيه وأنه هو الذي خلع حسينا ونصب عليا ، وانه يتكلم باسم بدو الحجاز وحضره ، وان سلطان نجد ضعيف لا جند عنده ولا سلاح ، وان ما أعده ملك جدة من آلات القتال والجنية العصرية كاف لتدويخه وسحق جيشه الضعيف وطرده من الحجاز والاستيلاء على نجد كلها ، وان انقاذ الحجاز من هذه الاسرة الطاغية الباغية صار متعذرا ، فاهون الشرين إذاً إصلاح ذات البين ببقاء علي بن حسين ملكا للحجاز بشروط منها ان لا يعود والده حسين بن علي الى الحجاز . الى هذا الحد وصل تأثير أمثال هذه الدعاوى الكاذبة التي سنبين الحق فيها

كنا نقرأ تلك المفتريات في جريدة المقطم وبعض جرائد سورية فنضحك منها ضحك السخرية متربصين بها تكذيب السيف لها وهو أصدق من اللسان والقلم ، ولا يمارى في قوله ولا في حكمه أحد ، على أننا جمعنا بعض الدلائل للرد عليها ولكن قضى الله تعالى أن نضطر الى استئناف الكتابة في وقت لا نملك فيه مراجعة شيء مما جمعنا ، وهو وقت نقل كتبنا وأوراقنا ومطبعتنا ومطبوعاتها الكثيرة وأثاثنا من دار الى دار . وقد بدأنا في الاستعداد لهذا في الشهر الماضي وسيشغلنا شهرا أو شهرين آخرين لاننا لا نجد من يقوم مقامنا في الاشراف على ذلك ، ولكننا سنجد ما نحتاج اليه من الاوراق المحفوظة في أقرب وقت

بعد هذا التمهيد أقول إن حسين بن علي وأولاده كانوا قد خدعوا السواد الاعظم من عرب سورية والعراق وكثيرا من غيرهم بما بثوه من دعاية المملكة العربية والوحدة العربية والخلافة العربية حتى خيلوا اليهم أنهم سيعيدون الى هذه

الامة عصر (هارون الرشيد) ثم ظهر أن غاية سعيهم تحقيق أمنية الانكليز القديمة وهي ادخال جزيرة العرب وما اتصل بها من بلادهم في دائرة الامبراطورية البريطانية المرنة على أن تسودهم فيها على قومهم وتسميهم ملوكا وخلفاء، ومع هذا الخزي يرون كثيرا من وجهاء البلاد العربية يعظمهم ويقول بزعامتهم إما لغباوتهم وجهلهم واما لانهم يرضون مثلهم « أن تكون الامة العربيـة كالقاصر في حجر الدولة البريطانية » كما صرح به حسين بن علي رسميا في (مقررات نهضته) التي هي أصول سياسته وسياسة أولاده — دع الذين يوالونهم للانتفاع منهم

لهذا أصبح أهل هذا البيت الحجازي يعتقدون ان الدعاية تؤسس الممالك وتوطد دعائم الملك ، وتهزم الجيوش ، وتفعـل كل شيء ، فكان اعتمادهم عليها وعلى الدولة البريطانية في حماية الحجاز وعرش ملك العرب وخلافة الاسلام فعادوا جميع امراء جزيرة العرب المستقلين المسلحين ولا سيما جارهم بالجنب سلطان نجـد وهو اقواهم واشدهم بأساء ولم يستمدوا لحماية عرشهم منه ولا من غيره بالسلاح، فاهملوا ما تركه الترك أو العثمانيون من الاسلحة الكثيرة الجيدة من كل نوع واكتفى حسين بتأليف جنـد صغير يقصد به اظهار عظمة الملك في الاحتفالات والمواسم ، واتكل على الدوله البريطانية والدعاية السياسية ، فلما ضاق العالم الاسلامي عامة وعرب نجـد خاصة بفساده في الحجاز، وزحف جند الاخوان الوهابيين لطرده وطرد أولاده منه ، استغاث لدولة البريطانية فلم تر من مصلحتها اغضاب العالم الاسـلامى الساخط عليه ، والاصطلاء بنار حرب جديدة فى جزيرة العرب لاجله ، فاعلنت الحياد، فلم يبق له الا قوة الدعاية الخاطئة الـكاذبة فشرع فيهـا فلم تغن عنه شيئا ، واضطر الى الخروج من الحجاز مذؤما مدحورا، وخلف فيها ولي عهده الذى يفخر به ويقول « لافتى الا علي » فكان ابرع منه في هذه الدعاية ، على أن والده هو الذى ربي له رجالها ، واصطنع له صحفها ، وهو الذى يفيض عليه المال للانفاق في سبيلها ، وسنذكر انواع هـذه

الدعاية الجديدة مع بيان بطلانها في مقال آخر ونعجل بالنوع الوحيد الذى فيه شية من الحق ، وشبهه من الصدق ، ولكنه حق اريد به باطل ، وصدق اتخذ ذريعة الى الكذب والتضليل ، وهو :

الاتفاق النجدي البريطاني

سمعت خبر هذا الاتفاق أو المعاهدة من الملك فيصل فى الشام أول مرة وهو الذى نشرها في بغداد في هذه المرة وأرسلت الينا والى الجرائد الشهيرة وقد صدقها الناس لان سلطان نجد لم يكذبها والغرض من نشرها ايهام العالم الاسلامي الذى يؤيد ابن سعود في طرد حسين وأهل بيته من الحجاز – أن مملكة نجد نفسها غير مستقلة استقلالا مطلقا بل قيدت الحكومة البريطانية سلطانها بما هو حماية ، وان الحجاز هو المستقل ، وانه اذا استولى عليه سلطان نجد يدخل تحت حماية الانجليز كنجد ، وقد اطالت الدعاية الحجازية في المسألة واكثرت من الايهام ، وتناقلت سائر الجرائد نص الاتفاق ، كما أرسل من العراق ، وتألم منه المسلمون ، فوجب أن نبين ما عندنا من رأي ورواية فيه على تقدير صحة نصه :

كان هم عبد العزيز ابن السعود بعد استرداد ما كان قد سلب من بلاد آبائه وأجداده محصورا في حفظ استقلالها بقوتها وبث دعوة التدين فيما جاورها من قبائل العرب ، والقناعة بعيشه العزلة والتجافي عن السياسة لدولية وأهلها ، ولم يكن له خصم في تلك البلاد الا آل الرشيد في شمر فهم الذين ألبوا على آل السعود الدولة العثمانية حتى استولوا بمساعدتها على عاصمتهم (الرياض) وقضوا على امارتهم ، فلما انتزعها منهم السلطان عبد العزيز هذا بحزمه وعزمه رأى انه سيكون معه في نزاع دائم وقتال مستمر ، وان قطرا صغيرا كنجد لا يصح أن يكون فيه امارتان تتوارثان الاحقاد والاضغان وتنتهز كل منهما الفرصة للقضاء على الاخرى ، فدعا ابن الرشيد للاتفاق وتوحيد العلم (الراية) والحكم والتعاون على حكم البلاد بصفة معقولة – كما نقل الينا – فامتنع ، فلم ير بدا من ازالة امارته ففعل ،

وقد اختار حصر منطقته حتى افتحامها بالمناجزة وكان ذلك في أيام عسر وغلاء فاحش وكانت مؤنة الجيش كلها بل مؤنة عامة بلاد نجد تأتيها من الهند فكان هذا سببا ملجئا لابن السعود الى الاتفاق مع الحكومة الانكليزية كما قال بعض أهل العلم والخبرة بالبلاد العربية

وهنالك سبب آخر لا يقل عنه إلجاء الى ما دعي اليه من الاتفاق بما رآه أهون الشرين ، وهو أن الدولة العثمانية رأت بعد عقد الصلح مع الامام يحيى انها كانت مخطئة في معاداة حكومة نجد كما كانت مخطئة في معاداة أئمة اليمن وأن الاتفاق ممكن وهو خير للدولة فعقدت مع امام نجد وهو عبد العزيز ابن السعود اتفاقا آخر اعترفت له فيه بالاستقلال الوراثي في بلاد نجد كلها حتى ما كان بيد الدولة منها كالحسا وثغور البلاد بشروط ليس هذا محل بيانها. فلما وقعت الحرب العامة واصطلت الدولة العثمانية سعيرها خاف ابن السعود أن تحتل الدولة البريطانية ثغور بلاد نجد وأقليم الاحساء اذ كانت تعدها من أملاك الدولة العثمانية ، فرضي بان يعقد معها إتفاقا تعترف له فيه أن هذه البلاد بلاده وانه مستقل فيها ، وأن يرضى منه في مقابلة ذلك بامور سلبية كان يرى انه لا يفقد بها شيئا

وجملة القول أن هذا الاتفاق قد عقد عقب ايذان دول الحلفاء الدولة العثمانية بالحرب ، وكانت الدولة البريطانية قد دعت ابن السعود أمير نجد الى قتال الدولة كما دعت امير مكة حسين بن علي وأمام اليمن والسيد الادريسي أمير تهامة وعسير ، وقد قلنا في المنار مرارا انه لم يوالها أحد منهم موالاة فعلية حربية الا امير مكة ، وان امام اليمن والى الدولة عليها واعانها على قتالها ، وأما الادريسي وابن السعود فقد اتفقا معها اتفاقا سلبيا ، ولم نكن قد اطلعنا على هذا الاتفاق ولكن اخبرنا طالب بك النقيب انه كان رسول الدولة البريطانية الى امير نجد وأن هذا الامير أبي أن يحارب دولة اسلامية انتصارا لدولة غير مسلمة وانه لم يكن يمكنه ان يحارب الانكليز انتصارا للدولة العثمانية لانهم يمكنهم أن يقضوا على بلاده بالحصر

البحري فان عامة أقوات أهل نجد من الهند ، فكانت المصلحة التي لا بد منها أن يكون على الحياد

نعم إننا نحن نظن الآن انه كان في الامكان أن ينال صاحب نجد ما لا غنى له عنه من تموين بلاده والاعتراف باستقلاله فيها بدون ان يقيد نفسه بما ذكر في هذه المعاهدة من القيود المنافية للاستقلال التام المطلق وان كانت قيودا سلبية ، وانه لا سبب لقبوله هذه القيود الا عدم تمرسه بالسياسة الدولية وعدم وقوفه على ما كان لدى أعداء الانكليز من القوات الحربية التي ترتعد منها فرائص دول اوربة كلها — ولكننا لا نجزم باننا لو كنا في مكانه في ذلك الوقت لكنا نعتقد هذا الاعتقاد نفسه ونتجرأ على رفض تلك المواد التي ننكرها بعد ما علمنا من قوات الالمان وأحلافهم ما لم يكن نعلمه في أول الحرب ـ ولا بأن الانكليز كانوا يرضون منه دون هذه الشروط ليكتفوا شر مساعدته للدولة العثمانية

هذا ما عندنا من أسباب هذه المعاهدة وانما نتكلم في المقالة الآتية على كل مادة من موادها التي نشرها الحجازيون نتكلم عليها من الجهة العامة ثم نبين ان سلطان نجد قد نقضها منذ عزم على الخروج من عزلته السياسية والاجتماعية وتصدى لزعامة النهضة العربية ، وثبت عنده ما يجب عليه شرعا من انقاذ الحرمين الشريفين من الظلم والالحاد ومنع النفوذ الاجنبي ان يتغلغل فيهما وفي سياجهما من جزيرة العرب ، فمعاهدة سنة ١٩١٥ امست قصاصة ورق لا قيمة لها كما نبين ذلك فيما يأتي

المقالة الثانية (*)

تفصيل القول في المعاهدة

بينا حقيقة الحال التي كان عليها صاحب نجد عند عقد المعاهدة التي نشرها في هذه الايام الملك فيصل ليثبت بها انه قد سبقه وسبق أباه وأخاه عبد الله في

(*) نشرت في عدد الاهرام الذي صدر في ٢٤ رجب (١٨ فبراير)

جعل بلاده تحت حماية الانكليز ، وقام انصارهم يقولون في دعايتهم لهم إنهم اذا لم يكونوا خيرا منه في هذا فهم مثله فماوجه تفضيله عليهم ؟ ولماذا ينتصر له العالم الاسلامي ويود جعل الحجاز تابعا له من دونهم ؟ فعلم بذلك بعض الفرق الجلي بين عملهم في اضاعة اكثر البلاد العربية وعمله في وقاية ملكه من السقوط بغزو الانكليز له من الخارج وغزو ابن الرشيد له من الداخل في مقابلة الاعتراف لهم بأمور سلبية يذهب بأثرها الزمان — وسنبين هذا الفرق من سائر وجوهه بعد انجاز ماوعدنا به من بيان مضمون مواد هذه المعاهدة ، ومن الكلام عليها من الجهة العامة ، فيعلم من لم يدرس هذه المسائل ان هذا البيت الحجازي لم يعتبر بشيء من التجارب والرزايا التي نزلت بالامة التي تصدي لزعامتها والتي نزلت بجميع زعمائه هو أيضا ، وانه لايزال يطمع في اضلال الامة العربية وجميع الشعوب الاسلامية ، وايهامها بالدعاية الكاذبة أن الذين سلوا سيوفهم مع الاجانب وقاتلوا تحت لوائهم حتى ملكوهم بلاد العرب من حدود مصر الى خليج فارس خير للاسلام وللعرب ممن أسس لها ملكا جديدا ليس لاجنبي ما ادنى نفوذ فيه ، ثم انقذ الحجاز من السيطرة الاجنبية والمظالم الطاغوتية ليجعل الامر فيه لاهله وللمسلمين دون غيرهم ، وهاك مضمون مواد المعاهدة كما نشرتها جميع الجرائد المشهورة

١ — مضمون المادة الاولى اعتراف الحكومة البريطانية بان نجدا والحسا والقطيف والجبيل وملحقاتها وثغورها (موانيها ومرافئها) على سواحل خليج العجم كلها تابعة للامير عبد العزيز بن السعود كما كانت لآبائه من قبل ، وانه هو حاكمها المستقل والرئيس المطلق على جميع قبائلها ، واعترافها ايضا بانها ستكون موروثة لاولاده واعقابه من بعده ولكنها قيدت هذا الاعتراف بان يكون الامير اللاحق مختارا من الامير السابق (فيخرج من كان متغلبا عليه) وأن لايكون خصما معاديا للحكومة البريطانية بمخالفته لشروط هذه المعاهدة فقط

نقول إن هذه المادة نص في مصلحة ابن السعود فان الدولة البريطانية

اعترفت له فيها بالاستقلال المطلق في هذه البلاد كلها وكان قريب العهد باستيلائه عليها ، ولو قالت أن ثغور نجد وبلاد الحسا كانت للدولة العثمانية ولي الحق باحتلالها ماذا كان يفعل ؟ وأما تقييد اعترافها باستقلال من بعده من أولاده واعقابه بقبولهم هذه المعاهدة فلا يضره ، فان معاهدته لما كانت لاتلزم من يخلفه اشترط الانكليز فيه هذا الشرط ، ولا يجب على خلفه قبوله بنص هذه المعاهدة كما يعلم من أصول القوانين الدولية ، فاذا كان الخلف في غنى عن الاعتراف بهذه المعاهدة لم يعترف بها — لا كما يزعم اجراء الدعاية الحجازية من أن هذا التقييد لمن بعده بالاخلاص للانكليز كما عبر بعضهم (!!)

٢ — مضمون المادة الثانية أن الدولة البريطانية تلتزم أن تساعد ابن السعود وذريته على أي دولة أجنبية تعتدي على بلادهم اذا كان هذا الاعتداء بدون علمها ولا اعطائها الوقت الكافي لمراجعة سلطان البلاد ومذاكرته في ازالة الخلاف المسبب للاعتداء ، وقيدت هذه المساعدة برأي ابن السعود . وهذه المادة في مصلحته ولاتخل باستقلاله ايضا

٣ — مضمون المادة الثالثة ان ابن السعود يلتزم ان لا يعقد اتفاقا ولا معاهدة مع أي حكومة أو دولة أجنبية و يعد بعدم مفاوضة أحد في ذلك ويلتزم اعلام الحكومة البريطانية بكل تجاوز أو تعد على شيء من بلاده التي ذكرت في هذه المعاهدة

هذه المادة منافية لمصلحة ابن السعود لأنها قيد للاستقلال وانما سهل قبولها عليه — ان صح نصها — ما كان عليه من حياة العزلة وعدم نية الارتباط والاتفاق مع أحد من الحكومات والدول . ولما شعر بالحاجة الى الاتفاق مع السيد محمد علي الادريسي نقض هذه المادة واتفق معه اتفاقا كتابيا ثم فاوض الامام يحيي واتفق معه على امور لم تنشر بعد ، فثبت بهذا أنه غير مقيد بما يراه مخالفا لمصلحته منها

٤ — مضمون المادة الرابعة أن ابن السعود يلتزم أن لا يبيع ولا يرهن ولا يؤجر ولا يتخلى عن شيء من اراضي بلاده التي ذكرت في هذه المعاهدة

ولا يمنح امتيازا لدولة اجنبية أو لاحد من رعايا دوله أجنبية بدون رضى الحكومة البريطانية وبان يتبع في ذلك نصائحها التي لاتضر بمصالحه

هذه المادة منافية لمصلحة ابن السعود من حيث هي مقيدة لاستقلاله فقط وانما سهل عليه قبولها اعتقاده انها من تحصيل الحاصل لانه لاينوي ان يجعل لاية دولة أجنبية حقا من حقوق الملك ولا الامتياز ولا غيره في بلاده ، وهذا عين المصلحة له ولبلاده بشرط ان يشمل الدولة البريطانية ورعاياها كسائر دول الافرنج ، لأنهم اذا دخلوا بلاداً وصار لهم حقوق فيها اذلوا اهلها وافتاتوا عليهم وسلبوهم استقلالهم ، وقد نصح شيخ حكماء العصر الفيلسوف الانكليزي هربرت سبنسر لليابانيين بان لا يدخلوا الانكليز في بلادهم لمساعدتهم على تنظيمها وعمرانها وعلل لهم ذلك بانهم اذا دخلوا لايخرجون ، وارشدهم الى الطريقة المثلى وهي ان يرسلوا من ابنائهم من يتعلمون مايحتاجون اليه حيث يجدونه من أوربة ليعودوا ويتولوا الاصلاح بانفسهم وقد قبلوا نصيحته فارسلوا الى الغرب من تعلموا مايحتاجون اليه من فنون الحرب والعمران والثروة والصناعات التي تتوقف عليها القوة والسيادة — خلافا لما فعل من عنوا من الشرقيين باقتباس عادات الافرنج وازيائهم وقوانينهم فكان ذلك سببا لاضاعة استقلالهم (اياك اعني واسمعي ياجارة)

وقد كان فيما رضيناه مع اصدقائنا مؤسسي قواعد (الجامعة العربية) قبل الحرب العامة انه لايجوز لاحد من امراء جزيرة العرب أن يمنح دولة أجنبية شيئا من رقبة البلاد ولا منافعها ولا لاحد من رعاياها ، ولكن الدولة البريطانية أرادت حصر هذه المنافع في رعاياها أو حكومتها لانه توطئة لاستعمار البلاد والسيادة فيها بل هو الطريق المعبد له دون الحرب ، فلا يجوز لحكومة شرقية أن تبيحه في بلادها طمعا في الربح منه الا بعد أن تصير ذات قوة حربية تخولها أن تشترط على الاجانب الذين يدخلون بلادها أن يكونوا فيها خاضعين لشرعها ونظمها ، نافذة

فيهم احكامها ، وأن تشترط عليهم في عقد الامتياز أو الامتلاك من الشروط الواقية للبلاد من تعدي دولهم ماهي قادرة على تنفيذه

٥ — هذا مايتعلق بالاستقلال اطلاقا وتقييدا من مواد هذه المعاهدة والمادة الخامسة منها خاصة بابقاء الطرق الموصلة الى البلاد المقدسة من نجد وملحقاتها مفتوحة والمحافظة على الحجاج الذين يسلكونها ، وذكرها في هذه المعاهدة من الرياء والفضول البريطانيين ، والمادة السادسة في التزام ابن سعود عدم الاعتداء على حكومات جيرانه من عرب البحرين والكويت وقطر وعمان والمشايخ الذين تحت الحماية البريطانية

☆ ☆ ☆

وخلاصة القول في هذه المعاهدة انها كانت على علاتها في مصلحة ابن السعود وانه لا يوجد عاقل منصف يعرف ما كانت عليه حاله وحال بلاده عند عقدها يقول إن عدمها كان خيرا منها ، وكل ما امكننا انتقاده منها هو أن الانكليز ربما كانوا يرضون من ابن السعود بمادون هذه القيود كلها مع اقتناعهم بحسن نيته لو كان أشد في مساومته وألحن بحجته (ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين)

وأما الحال التي اشرنا اليها هنا فهي ما ذكرناه بالايجاز من قبل وهي أنه كان لآل سعود امارة في نجد عظم شأنها الديني والدنيوي بالاصلاح الذي قام دعا اليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب فنهضوا به نهضة اشبهت نهضة العرب في صدر الاسلام حتى توقع المؤرخون وأهل الرأي في الشرق والغرب بان يعود بها عهد الخلفاء الاولين قوة ومجدا واصلاحا وحضارة ، فكان أول من ناصبها العداء امير مكة الشريف غالب وهو الذى اغرى بها الدولة العثمانية ، وافترى عليها المطاعن الدينية ، فما زالت تناوئها وتقاتلها وتساعد ابن الرشيد عليها حتى استولى على عاصمتها ولجأ اميرها الامام عبد الرحمن الفيصل بأولاده الى الكويت فاقاموا ضيوفا على شيخها ابن الصباح الى ان نهض نجله عبد العزيز هذا نهضته التي تعد من نوادر

تاريخ الرجال فاستعاد الامارة التي كانت لوالده ثم استرد ما كان بيد الدولة العثمانية منها وكان من امر دخول الدولة في الحرب الكبرى ما ذكرنا في المقام الاولى فلو لم يعقد مع الانكليز هذه المساعدة لزعموا ان هذه البلاد للدولة العثمانية واحتلوا سواحلها وأعانوا ابن الرشيد وغيره على مناجزتها من الداخل بل كان منهم من يغريه بابن السعود مع اتفاقه معهم كما ثبت هذا عنده !!

على أن هذه القيود المنتقدة من المعاهدة لاتجعل للانكليز أدنى حق في التدخل الفعلي في شؤون البلاد – ولا تعترف لهم بسيادة ولا حماية عليها — كما اعترف لهم الشريف حسين بحق الحماية والتدخل الفعلي — ومثل هذه المعاهدات تكون مؤقتة بطبعها وقلما تتجاوز العاشرة من عمرها . والعبرة بما يحصل بالفعل من ثمرة عقدها ، في زمن اقتناع المتعاقدين بالحاجة اليها ، ثم يتبع كل منهما بعد ذلك الزمن مصلحته ، والمدار في جميع الامور السياسية على القوة وما يسمونه « الامر الواقع » فالذي استفاده الانكليز من هذه المعاهدة بالفعل هو أن ابن السعود لم يقاتلهم مع الدولة العثمانية ، والذي استفاده هو منهم (١) اعترافهم له ولذريته بانهم اصحاب هذه البلاد وحكامها (٢) عدم الاستيلاء على شيء منها كما استولوا علي فلسطين وسورية والعراق، ولولا اتقاؤهم هياج العالم الاسلامي لاستولوا على الحجاز (٣) تأمين معيشة بلاده في عسرة سني الحرب (٤) تمكنه من القضاء المبرم على امارة ابن الرشيد التي كانت تتهدده في كل حين (٥) قبض مئات الالوف من الجنيهات نظم بها قوة بلاده حتى صارت أعظم قوة في بلاد العرب ، وقد نقض بعد ذلك ما رأى من مصلحته نقضه

ولو انه جعل للانكليز ادنى تدخل فعلي في بلاده باتفاق كتابي أو شفوي لكان اشد خطرا عليها من الف معاهدة تكتب ولا يعمل بها كما يعلم هذا باليقين من تاريخهم ومسألة مصر والسودان أظهر الآيات على ذلك وأشهرها

(فان قيل) ان هذه المعاهدة قد تمكنهم من العبث باستقلاله والتدخل العملي

في شؤونه بحجة نقضه لبعض شروطها (قلنا) إن هذه أمور تتبع المصلحة وتراعى فيها القوة ، ومتى عزم القوي على شيء لا تعوزه الوسيلة ، وليس في هذه المعاهدة نص على جواز العبث باحتلال البلاد النجدية أو التدخل في شؤونها الداخلية اذا ترك سلطانها الوفاء بشيء مما التزمه فيها ، وانما يمكن للانكليز ان يحولوا دون تنفيذ أي نقض للمادة الرابعة لا يمنع ابن السعود وحده من اعطاء امتياز لدولة أجنبية او لبعض رعاياها في تلك البلاد بل يمنع أي دولة من الدول نفسها أو رعاياها من الاقدام على التعاقد معه على ذلك ، وقد بينا انه ليس من مصلحة ابن السعود نقض هذه المادة

ومن المعلوم من سياسة الانكليز انهم لا يقدمون على حرب شعب حربي مسلح لاجل فتح بلاده أو التمتع بالنفوذ فيها ولا سيما مثل بلاد نجد في فقرها وعدم وجود مرافق الحياة واسباب النقل فيها ، فهي بلاد لا يعتدى عليها بالقوة العسكرية ، لان الخسارة في ذلك أعظم من الربح قطعا ، وانما يخشى عليها من تمكن قوة الاجانب ونفوذهم فيما جاورها ، وهو ما يخدمهم البيت الحسيني فيه

هذا وان جميع مواد هذه المعاهدة خاصة بالبلاد التي ذكرت فيها بالنص فلا يدخل فيها ما استولى عليه ابن السعود بعدها كبلاد عسير باتفاقه مع الادريسي فضلا عن بلاد الحجاز كما أرجف أهل بيت حسين الحجازي وأجراء دعايته الكاذبة الخادعة . على ان ابن السعود قد قيد نفسه في مسألة الحجاز بمؤتمر اسلامي يقرر شكل حكومة الحجاز فلم يدع ما يدعيه حسين واولاده من ان الحجاز ملك لهم يجب ان يكون رهن تصرفهم فيه مطلقا لا رأي فيه لاحد من مسلمي العرب ولا العجم(١) وسنبين في المقالة الثالثة وجوها أخرى من الفرق بين أهل هذا البيت وبين ابن السعود دحضا لدعاويهم ، وإبطالا لدعايتهم

---

(١) قال ولده الامير عبدالله ان لهم حقا ان يتصرفوا شؤون الحاج ويمنعوا من شاؤا منهم دخول الحجاز أي لأجل الحج ونشر هذا بعض الجرائد عنه

الوهابيون والحجاز

عود على بدء

(٣)

ذكرنا في المقالة الاولى من هذه المقالات اننا استأنفنا الكتابة في هذا الموضوع في وقت لانملك فيه مراجعة شيء مما عندنا من المحفوظات المتعلقة به وهو وقت نقل مكتبتنا ومافيه الى دار اخرى فكان اعتمادنا على ماتذكر ما سمعنا وقرأنا ومنه الكثير مما كتبه اجراء الدعاية الحجازية الحسينية العلوية في المعاهدة البريطانية النجدية وغيرهم واننا على اعتقادنا أن اكثر ما يكتبونه مفتريات وأباطيل ، وخداع وتضليل ، قد علق في ذهننا بعض فتوهمنا أن في هذه المعاهدة نصوصا في تقييد استقلال سلطان نجد فوق ما بيناه في المقالة الثانية التي كتبناها بعد أن اتيح لنا الاطلاع على نصها الذي نشر في العراق ثم في سائر الاقطار العربية اذ كان قد طال عهدنا بالاطلاع على ذلك الاصل ، وكان من هذا الوهم أن من القيود السلبية التي قيد بها سلطان نجد انه لايستطيع أن يحارب بلادا موالية للدولة البريطانية بدون إذنها اذا أكثر أنصار حسين وعلي من اللفظ بانه تحت الحماية البريطانيه وانه لم يهاجم الحجاز الا باتفاق مع الدولة الحامية له ، ولكننا رأينا رجاله يهاجمون العراق وشرق الاردن ايضا ، ثم تتصدى الطيارات البريطانية للمهاجمين عليهما من الوهابيين فتدفعهم عنهما — فلهذا ولما ذكرناه من اتفاق سلطان نجد مع السيد محمد على الادريسي من قبل ومع الامام يحيي من بعد ولما عرفه القاصي والداني من اتفاقه مع نوري باشا الشعلان أمير قبائل الرولة على ان يشغل هذا بقبائله (الجوف) بشرط أن يمنع الانكليز من مد سكة حديدية بين فلسطين والعراق تمر منه — لهذا كله قلنا ان تلك المعاهدة امست قصاصة ورق لاقيمة لها

وقد اتفق لنا عند الشروع في كتابة المقالة الثانية ان رأينا نص المعاهدة في بعض الجرائد قبل أن يتيسر لنا مراجعة الاوراق فلم نر فيها شيئاً يمنع سلطان نجد أن يكون غازياً ولا فاتحاً ولا أن يتصرف في بلاده بما يشاء كما يشاء اذا لم يدخل فيها نفوذ دولة أجنبية ـ وهذا قيد يمنعه مما يضره ولا ينفعه — وأما منعه اياه من عقد الاتفاقات مع الحكومات والدول فاذا كان يشمل الحكومات العربية المجاورة له فقد نقض المعاهدة بمخالفته — وان كان لا يشملها فلا يضره هذا الشرط الآن اذ ليس من مصلحة نجد أن تكون ذات علاقة بالدول الاجنبية ولا هي مستعدة لذلك ، وللمستقبل حكمه واستعداده

وانا قبل ان نبين ما وعدنا به من المقابلة بين سلطان نجد وبين الشريف حسين وأولاده نقول اننا كنا ذكرنا في المقالة الاولى اننا سمعنا خبر المعاهدة البريطانية النجدية أول مرة من الملك فيصل في الشام (وكان اجتماعنا به هنالك سنة ١٩٢٠) كما ذكرنا أننا سمعنا خبر اختيار ابن السعود عدم الدخول في الحرب العامة في جانب الدولة العثمانية ولا في جانب الدولة البريطانية وذكرنا تعليله نقلا عن صديقنا السيد طالب بك النقيب ، ونتذكر اننا سمعنا منه انه كان قد كلف مخاطبته في هذه المسألة وانه نصح له بما يليق به وهو ما فيه مصلحته من حيث هو أمير مسلم وقد فهم المشار اليه اننا نعني بما نقلناه انه كان هو الذي توسط بين الانكليز والامير ابن السعود في عقد هذه المعاهدة فكتب في الجرائد تصحيحاً للخبر هو انه كان اخبرنا بأنه هو الذي توسط بين الامير ابن السعود وبين الدولة العثمانية في عقد الاتفاق الذي اشرنا اليه في المقالة الاولى وكان ذلك قبل الحرب وأما المعاهدة المذكورة فقد عقدت بعد نفيه من العراق في أوائل الحرب وحدد لنا الزمان والمكان اللذين اخبرنا فيهما بما ذكر وهو انه كان على مائدة الافطار بدارنا في شهر رمضان من سنة ١٩١٦ وذكر بعض الذين كانوا معنا ليلتئذ . وقد تذكرنا ولكن هذا غير ذلك فنحن لم نقل ولم نقصد بعبارتنا الوجيزة

المبهمة ان صديقنا توسط في معاهدة سنة ١٩١٥ اذ صرحنا بأننا لم نسمع خبرها الا من الملك فيصل سنة ١٩٢٠ وانما العالق بذهننا ان الانكليز لما أعلنوا الحرب مع حلفائهم على الدولة العثمانية وشرعوا يغرون امراء جزيرة العرب بان يكونوا معهم عليها كان نصيبهم من ابن السعود ماذكرنا من الاتفاق السابي ولم نكن نعلم انه كان بمقتضي معاهدة مكتوبة ، وقد ذكرنا هذا مراراً في المنار وغيره اي الاتفاق السلبي ، فان كنا واهمين في سماع هذا الخبر من صديقنا (طالب بك) وانه كان كاف مخاطبة ابن سعود فنصحله – فاننا نستغفرالله تعالى ولانرى عليه غضاضة فيه فنستغفره هو وانما نعد ذلك من حسناته

☆ ☆ ☆

اما بعد فهذا أوجز مايقال في مسألة المعاهدة البريطانية النجدية على فرض صحتها وكون هذا الذي نشره الحجازيون هو نصها ليس فيه تحريف ولاتزوير مما اعتادوه حتي في الرسميات كما حرفوا نص ماكتبته جمعية الخلافة في الهند لملك جدة الشريف على تحريفايغير المعنى وان زعم نصيرهم المقطم انه لافرق بين الاصل الذي كتبه اليه رئيس وفد الخلافة وبين تحريف الكتاب الاحمر الحجازي في المعنى، كأن المقطم يرى ان اذا الشرطية بمعنى ما المصدرية وسيأتى بيان هذا في مقال آخر

والامر الواقع الذي لايحتمل التحريف ولا التأويل أن السلطان ابن السعود سلطان مستقل في بلاد نجد وملحقاتها ليس في بلاده اجنبي مسيطر ولا غير مسيطر عليه أوله نفوذ ما في بلاده — وانه يغزو و يضم بلاداً الى بلاده و يعقد المعاهدات بينه و بين من يتفق معه من الحكومات المجاورة له ، بدون ادنى تدخل من الانكليز وغيرهم — وأن رجاله قد غزوا بعض قبائل العراق وشرق الاردن التي هي بمقتضى سياسة امراء أوملوك البيت الحسيني تحت سلطان الانكليز بالفعل وقاومهم هؤلاء بطياراتهم واخيراً هاجم الحجاز وطرد منه رئيس هذا البيت الذي سمي ملك العرب وخليفة المسلمين واحتل عاصمته وحصر ولي عهده الذي ادعى

الملك في أحد أدواره ، وقد ظهر للقاصي والداني كراهة الانكليز لهذا الامر وما قبله ، وعلموا أنهم ارسلوا اليه من يفاوضه فيه بصفة غير رسمية فابى ان يقابله وأن يكلمه في ذلك فعاد خائبا

هذا هو الحق الواقع الذي لا تستطيع حكومات البيت الحسيني البريطانية ولا دعاتها ومقطعها ان يحرفوه ولا أن ينقضوا منه شيئا ، ولا أن ينكروا ان نجدا كانت امارة صغيرة قد تقلص ظل امرائها آل سعود عنها فاعاده السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل هذا ووسع الامارة فصارت سلطنة يشهد أهل المعرفة من الشرقيين والاوربيين أنها اعظم قوة في بلاد العرب

فماذا فعل البيت الحسيني الحجازي ؟

سنحت للشريف حسين فرصة لتأليف قوة عربية بوحدة حلفية تحت رياسته كانت تكون هي الوسيلة الوحيدة لتأليف مملكة قوية مستقلة فلم يعقل ذلك ولا رضي به — وفاوضه الانكليز في موالاته لهم واثارة العرب على الدولة العثمانية فلو اشترط في القبول اعترافهم واعتراف احلافهم باستقلال البلاد العربيه بنص رسمي لأمكن قبولهم — ولكنه استبد بالامر وعرض عليهم من تلقاء نفسه تلك المواد التى سماها « مقررات النهضة » التي صرح فيها بان « الامة العربية بمنزلة القاصر في حجر الدولة البريطانية » — وان هذه الدولة هي التي تؤسس له مملكة عربية وصفها بكلمة مستقلة وبان على الدولة البريطانية ان تكون حامية لها من الداخل والخارج حتى من الفتن الداخلية والثورات المحلية — وان تختار لها العمال والموظفين (١) وان الدولة البريطانية تحتل البصرة من ولايات العراق لاجل تأمين حماية البلاد العربية الى أن يصير للدولة العربية في ظلها من القوة ما يكفي لحماية نفسها بقدرتها (١) ثم اعترف لها بحقوق خاصة في جميع العراق وبتأجيل البت في مسألة سورية الشمالية لما تدعيه فرنسة من الحقوق فيها الخ

كانت هذه المقررات سرا مكتوما فافشاه الامير فيصل ونشره في جريدة

المفيد بدمشق الشام. ثم قرأنا في جريدة الملك حسين التي سماها القبلة أنه قد كتب الى الدولة الانكليزية مرارا بالاستقالة من ملك الحجاز وأن يعينوا فيه ملكا غيره ! !

هذا شأن الحجاز الذي تفتخر الدعاية الحجازية بان حسينا جعله مستقلا بالفعل ، وما جعله مستقلا الامكانه الدينية التي منعت الانكليز من تنفيذ مااقترحه حسين في مقررات نهضته من حمايتهم له من الداخل والخارج

وأما فيصل فخدع أهل سورية خداعا فوق خداع والده الذي نومهم تنويما كانوا يحلمون فيه بالمملكة العربية المستقلة — خدعهم بتلك الخطب التي كانت تهدر بها شقاشقه بكفالة الاستقلال التام الناجز لسورية وبانه هو ابن محمد (ص) ويتبرأ منه ان كان يرضى لسورية بماعدا الاستقلال المطلق من قيود الوصاية والحماية وغيرها — وقد رضي فبريء — فلما جاءت لجنة الاستفتاء الاميركانية الى سورية للوقوف على رأي أهلها امره سادته الانكليز بان يحمل الاهالى على طلب الوصاية البريطانية ففعل ولكنه لم يطع ، وصرح بانه غير سياسته فجأة لانه علم علما قطعيا بان الوصاية لابد منها وأن طلب الاستقلال التام المطلق يفضي الى جعل الوصاية لفرنسة ، فهو اذاً خيانة للوطن أوهو الخيانة العظمى (!)

ثم ذهب الى انكلترا فامرته حكومتها بان يتفق مع مسيو كلمنصو الرئيس الفرنسي على قبول انتداب فرنسا لسورية واقناع السوريين بذلك فاطاع، وعاد الى سورية لاقناع زعمائها بذلك فاعجزه الاقناع ، وأعلنت البلاد استقلالها وجعلته ملكا عليها ليرجع عن هذا الرأي ، ويكون لها على الاجنبي دون العكس، فرجع في الظاهر دون الباطن ، ولما أرسل اليه الجنرال غورو إنذاره المعروف في يونيو سنة ١٩٢٠ حاول أن يخدع المؤتمر السوري ليفوض الامر اليه فعجز، فحل عقد المؤتمر وقبل الانذار الفاضح، وحل الجيش المدافع ، وخرج من دمشق فاقام في ضواحيها الى ان احتلها الجيش الفرنسي فلما تم الاحتلال عاد اليها ليكون في ظل الانتداب

الفرنسي ملكا عليها (؟؟)

وبعد طرده منها عاد الى أولياء أمره الانكليز الذين سل سيفه تحت قيادتهم وساعدهم على فتح القدس الشريف والشام ، وأخذ ثار القرون الطويلة من العرب والاسلام، شاكيالهم ماأصابه معللالهم ثباته على اخلاصه لهم، فارسلوه الى العراق وجعلوه ملكا عليه، فجاهد ولا يزال يجاهد في سبيل توطيد نفوذهم فيه بالاسم الذي يريدونه

وأما عبدالله فقد جاء شرق الاردن بعد فرار أخيه من سورية في اثر مكاتبات بين بعض احرار السوريين الذين لجؤا اليها وبين والده وكانت هي المنطقة الحرة التي لم تدخل في الانتداب لا الفلسطين ولا السورية ،وكان لاولئك الوطنيين الاحرار من الآمال فيها وفي الملك حسين وفي الامير عبدالله ماكنت في حيرة منه، ولم أجد له تأويلا - بعد أن علموا من كذب هذه الاسرة وخداعها مالا يمكن تأويله — الا تعلق الغريق بحبال الهواء (كما يقال في تلك البلاد) فما زال الامير عبد الله يجاهد في هؤلاء الاحرار ويسرف في اموال المنطقة ويحكم فيها عبيده ويتزلف الى الانكليز والصهيونيين حتى وضع المنطقة في دائرة الانتداب الفلسطيني وأوصل نفوذ الانكليز واليهود الى حدود الحجاز باذن والده (المنقذ الاعظم) ورضاه وهو أحب أولاده اليه

وأما علي ولي عهد والده وهو الذي كان يظن أنه خيرهم ان كان فيهم خير — فهو « يمثل الآن شر دور من أدوار القضيـة العربية » كما يقال في التعبير المصري — فان الداء الذى جعل أباه وأخويه نكبة على العرب والاسلام متمكن منه كتمكنه منهم أو أشد ، وفيه جميع مساويهم الاخنزوانة الجبروت فلم يحك لنا

« ١ » بلغنا بعد نشرهذه المقالة في الاهرام صحة ما كان أشيع من ان الشريف حسينا و ولديه عبدالله وعليا امضوا للانكليز ضم معان والعقبة الى شرق الاردن وهما من ارض الحجاز لئلا يأخذها سلطان نجد ، فهل يوجد مسلم صحيح الاسلام أو عربي غير خائن لامته يشك بعد علمه بهذا في خيانتهم لدينهم وأمتهم ؟ ؟

عنه منها شيء لانه ضعيف الارادة

اما الداء الذى نعنيه فهو الافتتان بلقب الملك ومظاهر عظمته ولو في ظل دولة اجنبية ، بل هو متواطىء معهم على أن يكونوا كلهم ملوكا في حماية الدولة البريطانية ، وقد أخبرني رئيس الوفد الهندي انه ثبت عندهم في جدة انه عرض على المعتمد البريطاني فيها أن يكون الحجاز تحت الحماية البريطانية رسميا ليصدوا سلطان نجد عنه ، وكلفه أن يكتب الى دولته بذلك فاجابه بأن دولته قررت الحياد رسميا فلا تعدل عنه ، فكان هذا مصداقا للروايات الكثيرة المختلفة المصادر في ذلك، وان كذبها دعاة سياستهم في مقطمهم وغيره ، ونبين هذا في مقال آخر ،

وأما المساوي المرادة هنا فهي الجهل والاستبداد والخداع والكذب والاثرة والغرور بالنسب باعتقاد انهم أولى الناس بالسيادة على العرب وأحقهم بالملك والخلافة بنسبهم الذي يشاركهم فيه ألوف لا تحصى وكثير منهم يفضلونهم في كل ما يتوقف عليه الملك من علم وخلق وعمل

فعلي هذا متواطيء مع أبيه على ادعاء خلعه واخراجه من الحجاز وكون أهل الحجاز بايعوه على أن يكون ملكا دستوريا على الحجاز وحده — وكونه يعترف لكل امارة في جزيرة العرب باستقلالها اذا اعترفوا باستقلاله في الحجاز — وهذا كله كذب وخداع، وكذا وجود حزب وطني حجازي ينطق بلسان أهل الحجاز ويعبر عن رغباتهم — وقد كنا نرتاب في كل خبر من هذه الاخبار عند نشرهم اياه ثم تأتينا الانباء الصادقة باليقين الموافق لرأينا ،ومن المؤسفات اننا كنا في شواغل حالت دون بيان رأينا في الجرائد ، على اننا كنا نذكره لكل من نتكلم معهم في هذه الشؤون وذكرنا بعضه في الخطاب العام الذى ننشره في هذه الايام وفي المنار

وقد كانت أخبار الوفد الهندى الصادقة آخر ماجاءنا من الحقائق الموافقة لرأينا ومنها أن عليا لا يزال يخاطب والده بالقاب الملك والخلافة وامارة المؤمنين وأن الحزب الوطني مؤلف هنالك من محمد الطويل وطاهر الدباغ من اركان حكومة

علي ولم يبق ممن كانوا خدعوا به ودخلوا فيه من الحجازيين احد ، والذي نعلمه نحن أن الاول تركي الاصل والثاني مغربي — ولهما مندوبان بمصر هما حسين الصبان الذي كان مدير جريدة القبلة وعبد الرؤف الصبان وهما اللذان ينشران الدعاية باسمه — ومما قاله رئيس الوفد وأعضاؤه وهو معروف عندنا وعند المختبرين انه ليس في حكومة علي في جدة نفوذ لاحد من أهل الحجاز فان الجند وضباطه سوريون وكذا جل رجال الحكومة على قلتهم

ومن غريب أحداث الزمان ان أهل هذا البيت الحسني يبغضون السوريين اشد البغض وأن السوريين كانوا أشد انصارهم في الحجاز وسورية وشرق الاردن وهم الذين سموا كبيرهم خليفة المسلمين وامير المؤمنين المرة بعد المرة — ولكن لما كان كل ذلك في كل وقت مبنيا على اساس مناف للحق ولمصلحة العرب والشريعة الاسلام ، لم تكن عاقبته الا الخيبة و الخذلان

وجملة القول أن علي بن حسين قد حصن ثغر جدة بمال ابيه ومساعدة أخيه وبما استأجرا له من الجند من شرق الاردن وسائر فلسطين وسورية وبما ابتاع به من السلاح والذخائر وعدد القتال من أوربة ، وسمى نفسه ملك الحجاز ، وقد عرض بلاد الحجاز بهذا للحرب والجوع وهو مستعد لمنع الحج اذا عجز الوهابيون عن الاستيلاء على جدة قبل الموسم ، بل هو يستحل اهلاك الحجاز وأهله والعرب والعجم لاستعادة ملك الحجاز له والخلافة لوالده. فالخلاف بين علي بن حسين وحسين بن علي من جهة والسلطان ابن السعود من جهة أخرى قائم على هذه المسألة وهي أنه هو يريد انقاذ الحجاز من أهل هذا البيت الظالم وأهله وجعل أمره لاهل العقل والبصيرة من أهله ومن سائر العالم الاسلامي وهما يريدان أن يكون ملكا لهما يتصرفان فيه وفيمن يرد اليه من مسلمي العالم كله كما يشاء كبيرهم الذي ثبت بالتواتر العام ظلمه والحاده في الحرم وسوء ادارته ثم من برئه منهم .

الحجاز والعرب

بين السلطان العامل الصامت - وملوك الرعاية القوالين

﴿ خاتمة هذه المقالات ﴾

﴿ إن الارض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين ﴾

ابتلي العرب بالترك المتعصبين لجنسهم يحاولون هدم لغتهم فدينهم أو يكونوا تركافكان من أمرهم ما كان ... ثم ابتلوا بالشريف حسين بن علي أمير مكة فظنوا انهم ينالون بالنهوض معه استقلالهم فنهضوا ، فاذا به وبأولاده يتخذون العرب سلعا تجارية يبيعونها للافرنج ليكونوا ملوكا في ظل دولتي الاستعمار الكبريين ، ففقدوا بسوء سياستهم مهد الحضارتين الاموية والعباسية . وقد ظل بعضهم مخدوعا باستقلال حسين فولده علي في الحجاز ، من حيث كان يسعى آخرون من أعقلهم وأعلمهم بالحقائق إلى القضاء عليهما قبل أن يفعلا فيه ما فعل عبد الله في شرق الأردن وفيصل في العراق ، وقد قضى الله على الأولين قبل أن يقضيا على خير تراث العرب والاسلام ، ونسأله تعالى ان يكفيهما الآخرين

ثم ابتلي العرب الآن في مهد أمتهم ، والمسلمون في مأرز دينهم بزعيم هو في نفسه خير مما كان يعرف عنه ويقال فيه ، كما كان أولئك شراً من كل ما كان يعرف عنهم ويقال فيهم ، وهو عبد العزيز ابن السعود سلطان نجد ، فلنرجو أن يكون هذا من الابتلاء بالحسنات بعد السيئات ، وبالخير بعد الشر ، كما قال تعالى (وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون) وقال (ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون) وعسى أن تكون عاقبة ماذكر من الابتلاء الرجوع اليه تعالى باقامة سنته في السياسة والاجتماع ، وشرعه في الحق والعدل والفضل . ولما كان

بعض السوريين وغيرهم مرتابا في أمر ابن السعود إما للجهل بتاريخه وسيرته ، وإما لقياسه على حسين وأولاده ، وإما لتأثير دعايتهم الطاعنة فيه ، وتأثير دعاية أجدادهم مع الترك في الطعن بسلفه وقومه المنبوزين بلقب الوهابية . رأيت أن أختم مقالاتي الكثيرة في هذا الموضوع بخلاصة من سيرة الفريقين

السلطان ابن السعود

لما بلغ أمير نجد عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود أشدّه رأى نفسه مع والده وأهل بيته ضيوفاً عند ابن الصباح صاحب الكويت إذ كان ابن الرشيد أمير شمر قد غلبهم بمساعدة الدولة العثمانيـة على أمرهم ، وأخرجهم من الرياض عاصمة إمارتهم ، فماذا فعل هذا الشاب الناشىء ؟

عزم على استعادة ملكهم فاستنفر زهاء ثلاثين رجلا من قومه ، فركب كل منهم ذلولا ، وخرجوا من الكويت إلى نجد يستنفرون من مروا به من عشائرها في طريقهم ، وهو كما قال الشاعر :

إذا همّ ألقى بين عينيـه عزمه   وتنكّب عن ذكر الحوادث جانبا

فحارب ابن رشـيد المجهز بمدافع الترك ورشاشاتها وقهره ، واستعاد إمارة آبائه وأجداده منه — ثم إنه غزاه بعـد ذلك ، وكان قد نزل له والده عن إمارة نجد ، فأحسن الادارة ، ونظم القوة ، وهجم على عشائر شمَّر في جبلهم المنيع فحصرهم فيه في أيام الحرب الكبرى وشدة الغلاء ، وكان قدراً على أخذهم عنوة بالمناجزة ، ولكنه على شجاعته يكره سفك الدماء ، فيقف فيه عند حد الضرورة — وما زال يضيق عليهم الخناق ، حتى نزلوا على حكمه ، وخضعوا لأمره ، فأزال إمارتهم بضـمها الى إمارته ، وحجته أن قطراً واحداً يتفق أهله في اللغة والدين والعادات لا يجوز شرعا ولا مصلحة أن يكون فيه حكومتان تتقاتلان ،

وعلمان يتنافسان ، وقد وضع من بقي من أسرة آل الرشيد عنده في الرياض ، يعاملهم فيها معاملة أولاده وأهل بيته سواء

وكان قبل ذلك قد وجه عزمه إلى أخذ سواحل نجد التي على خليج فارس المعروفة بالحسا من الترك (ويسميها الترك متصرفية نجد) ففاز بذلك ولكن الترك رأوا أن يصالحوه كما صالحوا إمام اليمن ، ويجعلوه صديقاً لهم بدلا من الاستمرار على سفك دماء جيوشهم في بلاد العرب هدراً من غير فائدة سياسية ولا اقتصادية كما جربوا في القرون الماضية ، فعقدوا معه اتفاقا رسميا اعترفوا له فيه بأن بلاد نجد إمارة مستقلة ، وأن الحكم فيها له ولذريته من بعده بالارث ، واشترطوا فيه شروطا هي نافعة له غير ضارة ككونه اذا احتاج الى ضباط ينظمون جيشه أو سلاح ونحوه يطلبه من الدولة دون الأجانب الخ

صارت نجـد في أيامه إمارة كبيرة أحسن ادارتها ، وحفظ الأمن فيها ، ونظم الدعوة لنشر الدين والحضارة في قبائلها والقبائل المجاورة لهـا ، كما نظم فيها القوة المقاتلة تنظيما كافيًا لحفظها ، والأمن من اعتداء أحد من المجاورين لها عليها ، ولكنه ليس تنظيما فنيًا كجيوش دول الحضارة المعروفة ؛ على أن كبرى الدول صارت تحسب لقوته فى البلاد المجاورة له ألف حساب ، وخطبت مودته الدولة البريطانيـة ، وحاولت أن تستعين به على قتـال الترك في العراق فأبى ، وعقدت معه اتفاقا اعترفت له فيه بسيادته على نجد وملحقاتها ومنها ما كان بيد الدولة العثمانية . وفي ذلك الاتفاق تقييـد لاسـتقلال نجد الخارجي لا تشعر به حكومتها الا اذا أرادت الخروج من عزلتها ومعاملة العالم ، فان لم يكن ألغي فقد صار انفاذه اليوم أسهل مما كان بالأمس ، لأن الدولة البريطانية أحوج الى موادة ملك الحجاز وسلطان نجد اليوم منها الى سلطان نجد وحدها بالأمس ، ولا تزال حريصة عليها في الظاهر ، وان كانت تكيد له في الباطن ، على انه هو قد صرح في مكة بأن استقلاله مطلق لا نفوذ عليه ولا في بلاده لأجنبي قط

فعل كل هذا عبد العزيز آل سعود — وما هذا بقليل على مثله في هذا الزمن القصير ، وهو مع هذا في منتهى التواضع في معيشته وحكمه ومعاشرته للناس من أهل بلاده وغيرهم ، لم تجنح نفسه للترف والنعيم ، ولا للزينة والزخرف غير المعتاد أو المحظور شرعا ، ولا للعظمة والكبرياء ، ولا للتمتع بالألقاب الضخمة ، ولا لتسمية أعوانه بالوزراء والحجاب ، ولا للانعام عليهم بالرتب وشارات الشرف ، كما فعل الملك حسين ، وكذا ولده عبد الله في امارته الصغيرة الحقيرة التي هو فيها تحت سيطرة الأجانب وخدمتهم ، ولا بث دعاية لنفسه ولا لقومه في البلاد العربية ، ولا غيرها من البلاد الاسلامية ، لا باسم الوحدة العربية ، ولا بعنوان الجامعة الاسلامية ، ولا اصطنع جريدة ولا بذل المادحين ولا للناقدين درهما ولا ديناراً ، وهو لا يبالي بالأقوال (وان كان يبالي بها ويهتم بأمرها ساسة الدول الكبرى ويبذلون في سبيلها الملايين) ومن المعلوم أن حاله غير حالهم ، وماله غير مالهم ، وبيئته غير بيئتهم ، وقد سخر الله له كثيرين يعملون للمصلحة التي يبغيها لا له ، فاغناه عن استئجار الاقلام المنافقة

وقد ناصبه الشريف حسين وأولاده العداء منذ صار أمر الحجاز بأيديهم وكادوا له وتحرشوا به مراراً كان أقواها زحف الشريف عبد الله على الخرما وطربة بأعظم قوة منظمة وجدت في الحجاز عقب استيلاء حسين على المدينة المنورة ، وخروج الجيش التركي منها بانكسار دولته ودول أحلافه ، فكسره الاخوان شر كسرة ، ومزقوا شمل جيشه المنظم ، وفرّ هو منهزماً يحاكي الاخوان من الوهابية في زيهم وكلامهم ، حتى صرح له والده بأنه كان يفضل قتله على نجاته بهذه الصورة المزرية . ولم يكتفوا بخزي هذه الكسرة الشائنة ، فتحرشوا بالنجديين بعد ذلك مراراً ، ومنعهم الملك حسين من أداء فريضة الحج ، وضيق على تجارتهم حتى منعها من الحجاز وأسرف في الكيد والدسائس لسلطانهم ، والسعي لاعادة إمارة ابن الرشيد ، في نجد وامارة آل عايض في عسير وضمهما إلى الحجاز ، بل وضع بناء سياسته في

جزيرة العرب على أساس تقسيم السلطنة النجدية والبلاد اليمنية الى عدة إمارات ، تابعة لملك واحد (أي له) في السياسة والعسكرية ، والشؤون العامة ، وبالغ هو وأولاده في احتقار السلطان عبد العزيز بن السعود ، حتى أن أضعفهم أجير الانكليز في مديرية شرق الأردن لا يعبر عنه إلا بشيخ عشائر نجد ، دع طعنهم في دينه ودين قومه على حد تعيير مادر لحاتم الطائي بالبخل ، ...

وقد عاملهم هو بالحلم الواسع فلم يزدهم حلمه إلا بغياً وغروراً ، حتى اذا قامت عليه الحجة بوجوب انقاذ الحجاز من ظلم حسين وإلحاده في الحرم على ما أفتينا به بناء على الأخبار التي تواترت برواية الكثير من الحجازيين والآفاقيين من الحجاج وغيرهم ، وقرر ذلك مؤتمر الشورى الذي عقد في الرياض عاصمة نجد أمر بالزحف على الطائف التي هي أمنع معاقل الحجاز ، ومركز أكبر قوته العسكرية ، فزحف الاخوان من متدينة الحجاز ونجد ، فأخذوا الطائف عنوة ثم ماوراءه من المعاقل الحصينة ، وأعظمها الهدى وكرى ، وفر الشريف علي القائد العام وولي عهد الحسين كما فر أخوه قبله من بأس الاخوان ، واستأذن قائد الجيش — وهو الشريف خالد بن لؤي أحد شرفاء مكة — من السلطان بالزحف بمن معه على مكة المكرمة وغيرها ، ولو أذن لهم لاستولوا على كنوز الملك حسين وذخائره كلها ، وانتهى أمر الحجاز كله في شهر أو شهرين

ولكن هذا السلطان العاقل الحليم الصبور أمر بوقف الزحف حتى يحضر بنفسه إذ بلغه أنه قد وقع من الاخوان في الطائف شذوذ مخالف للشرع بقتل بعض الأهالي غير المقاتلين ، وسلب بعض الأموال ، فخاف أن يقع مثل ذلك في أرض الحرم — ولانه لا يستحل القتال في الحرم على مافيه الخلاف كما بيناه في الفتوى المشار اليها آنفاً ، فأمر بانتظاره حتى يحضر هو بنفسه ، وكان يمكن الزحف على جدة ، أو قطع الطريق على الملك حسين بينها وبين مكة المكرمة ، ولكنه لم يأذن بذلك أيضاً ، وقد شرحنا ذلك من قبل

ثم انه — أي السلطان — جاء بنفسه وأمهل الملك حسيناً حتى فرَّ بأمواله وذخائره الى جدة ، فاستولى على مكة سلماً ، ودخلها هو ومن معه محرمين بالعمرة ، ثم أفرط في التأني والتريث حتى كان ما كان من تحصين الشريف علي لجدة ، ووضع حامية في حصون المدينة المنورة ، وكان قد تألف فيها حزب وطني نصبه ملكا دستوريا على الحجاز باذن والده ، وقد اختار السلطان عبدالعزيز حصار جدة على مناجزتها خلافا لا كثر أنصاره وأوليائه من النجديين وغيرهم ، وصابرها أكثر من سنة حتى سقطت من تلقاء نفسها ، وكان قد حاصر حامية المدينة المنوّرة أيضاً ، فاستسلمت قبل استسلام جدة بأيام كما علمه الخاص والعام ، فكانت العاقبة حسنة على ما كان في الوسائل من الأغلاط ، وتمَّ « لشيخ عشائر نجد » الاستيلاء على جميع الحجاز مع عسير ، وصار ملكه ممتداً من البحر الأحمر الى خليج فارس ، ولم يزده هذا كله الا خشية لله تعالى وتواضعاً للناس ، وتنزهاً عن الدعوى والتنفج والتبجح الذي عهدناه من غيره :

(٢)

الشريف حسين وأولاده

وأما حسين بن علي شريف مكة وأميرها فملكها فمدعي ملك العرب فمنتحل الخلافة الاسلامية فقد فتن هو وأولاده بحب المجد الكاذب ، والملك الصوري في ظل الاجانب ، فأجمعوا أمرهم على جعل البلاد العربية تابعة للدولة البريطانية ليكونوا خلفاء وملوكا فى ظلها ، لعلمهم بأنهم من حيث هم هم ، كالهباء أو كالعدم لاظلّ لهم ، وأنه ليس لهم عصبية قومية يتملكون في ظلها ، وأنه لم يكن لهم ولا لسلفهم من أمراء مكة حسنة فى الحرمين الشريفين في علم ولا عمل يستميلون بها أهل الحجاز ولا غيرهم من العرب أو المسلمين بتنميتهم العود إلى مثله ، بل لايحفظ

التاريخ عنهم منذ بضعة قرون إلا الظلم والالحاد في الحرم . وانما كان أمراء مكة ينصبون من قبل **الدولة** المصرية ثم الدولة العثمانية ويظلمون الناس من حجاج وحرميين في ظلهما ،

وقد انتفخوا في هذا الزمن كبراً وعتواً وغروراً بما كان من ميل الانكليز الخادع لهم ، حتى لم يبق في أدمغتهم ولا قلوبهم أدنى ولا أصغر موضع لنصح ناصح ولا تذكير مذكر ، فقد نصحنا ونصح غيرنا لكبيرهم ولصغيرهم بانه لا رجاء لهم فى حفظ سلطانهم في الحجاز إلا بقوة أمتهم واتحادها وتضامنها ، وأن هذا الاتحاد لا يمكن حصوله في جزيرة العرب إلا على قاعدة الحلف بين حكوماتها المسلحة ، وأعظمها وأقواها حكومتا نجد واليمن ، وضمنا لهم إقناعها بذلك اذا رضي به حسين ، ولكن حسيناً لم يرض ان يتنزل درجة من عرش سماء عظموته وجبروته ، ولا ان يتحول خطوة عن جعل جميع البلاد العربية وفي مقدمتها اليمن ونجد خاضعة لامبراطوريته وخلافته ، كما أشرنا الى ذلك آنفاً ، وانما كان قصارى تواضعه أن يعد بالسماح لكل من إمامي اليمن ونجد باستقلال إداري في بعض البلاد الخاضعة لهما الآن وهو ما كان خاضعاً لهما قبل الحرب الكبرى . وهو على هذه الكبرياء والغرور والدعوى لم يتخذ لملكه قوة عسكرية تكفي لحفظ الحجاز من التعدي عليه . ولم يقدر أن يخضع قبائله لطاعته ، بل اكتفى من عظمة الملك بالألقاب والرتب الدولية وأسماء الوزارات الصورية ، والموسيقى الملكية ، فكان كما قال الشاعر :

* كالهر يحكي انتفاخاً صورة الأسد *

غر حسيناً وعود الانكليز الخادعة لأنه يجهل تاريخ الهند ، وما هو أقرب منه اليه وهو تاريخ مصر الحديث

ثم غر حسينا مبايعة جمهور من الفلسطينيين والسوريين بالخلافة العظمى فظن انه صار امام المسلمين الأعظم ، وكان قبلها يحتقر امام اليمن وسلطان نجد ، فصار بعدها يحتقر مصر والهند ، ويقول فيها ماقال مالك في الخمر ، بل صرح بتكفير

المصريين وشبههم بالأنعام ، وصدّ حكومتهم عن ارسال ركب الحج ومايتبعه من الأموال والأرزاق إلى أهل الحجاز ، وألف لجنة لتضع له المطاعن في بعض الكتب الاصلاحية ومؤلفيها من المتقدمين والمتأخرين ليبلغ العالم الاسلامي الامتناع من قراءتها بما له من السيطرة الدينية بزعمه لانتحاله لمنصب الخلافة ؟ وللدعاوي العريضة التي كان يمتع بها نفسه بما ينشره في جريدته (القبلة)

ومما زاد حسيناً غروراً بنفسه تلك الكنوز التي كنزها من مال الرشى الذي أفاضها عليه الانكليز وعلى أولاده في عهد الحرب فقد بلغ كما روي عن (مستر لورانس) المستشرق الذي كان يدير دفة سفينة الشرفاء في لجج الصحراء ثمانية وأربعين مليوناً من الجنيهات الذهبية . وما كان يبتزه من مال السحت في كل عام من الحجاج وأهل الحجاز جميعاً ، وقد بينا أنواعه في الخطاب العام الذي نشرناه في المنار

ومما زاده وزاد أولاده غروراً تزلف كثير من المنافقين لهم ، واصطناعهم لبعض الجرائد العربية التي تطريهم وتدافع عنهم ، وتغش الناس بهم ، وتجعل سيئاتهم حسنات ، وتهوّن أمر خصمهم ، وتنفر العرب والمسلمين منه ، ولا سيما سلطان نجد وقومه ، وفي مقدمة هذه الجرائد المقطم الذي ثبت على امداد حسين فعلي في البغي والغرور ، ونصره دعايتهما بالافك وقول الزور ، فصبرا وصابرا الى أن قضى الله عليهما ، وأدال لخصمهما منهما ، ولم يستفيدا من هذه المصابرة الا خسارة القناطير المقنطرة من الذهب التي جمعاها من السحت والظلم . وفضيحتهما فيما اختلقا واختلق لهما أنصارهما من الطعن في ابن السعود وقومه ،

دعاية المقطم لحسين وأولاده

أسرفت جريدة المقطم في الدعاية الحجازية ، وسمحت لأحد محرريها بلقبه المنوط به التوسع في المسائل الشرقية أن يرخي لنفسه العنان في هذا الميدان ، فيقول ماشاء من أنباء معزوة وغير معزوة ، وآراء معقولة وغير معقولة ، ولم تعد تحسب

لما يكشفه المستقبل حسابا . فكانت في الدعاية لهؤلاء الجاهلين مثلهم على ما أوتي أصحابها من علم وخبرة وتجارب ، ولا نبحث هنا عن علة ذلك وسببه من سياستهم ، ولا فيما هنالك من معاملة مالية بينها وبينهم

دع ماأذاعوه عن موت ابن السعود بالسل ، ودع تأويل أكذوبتهم بعد ظهورها بأنه مسلول في الدرجة الأخيرة التي لاتطول معها الحياة ، فان هذا وذاك مما عددناه نحن محتملا للصدق ، حتى كذبته لنا أنباء البرق ، وتذكر ان كنت ناسياً ما كانت تنشره من أخبار قوة الملك علي الحربية ، من جيوش نظامية وبدوية ، وأسلحة لاتقل عن أسلحة الجيوش الألمانية ، من سيارات مدرعة ، ودبابات مروعة ، وطيارات مسلحة تحلق في الجواء ، وأساطيل مواخر في الدأماء ، وجحافل تترى حتى يكاد يضيق بها رحب الفضاء ، ومن سعي الملك علي الدستوري (؟) تارة للصلح على ما أوتي من قوة وبأس شديد ، كراهة لسفك الدماء ، وايثاراً للمودة على البغضاء ، واحتراماً لأرض الحرم المقدسة ، وعزمه تارة أخرى على مطاردة الوهابيين وانتزاع الحرم منهم بالقوة ثم الزحف على بلادهم ، أو يدخل بلدة الرياض عاصمة سلطنتهم ،

« هذا من جهة أو من الجهة الواحدة ومن جهة أخرى » — كما تعبر المقطم — أن ما عليه الاخوان الوهابيون من الفقر والعوز ، وقلة السلاح والذخيرة ، والحرمان من النظام والدربة ، ومن وقوع الشقاق بينهم ، وخروج بعض القواد على سلطانهم ، واشتعال نيران الفتن في عقر دارهم ، والأخطار التي تساورهم من القبائل التي في جوارهم ، كل ذلك من آيات خذلانهم وسوء عاقبة سعيهم .

ومن جهة ثالثة — وان لم تكن من هجيرى الكاتب — ان ولي عهد امام اليمن قد خطب قومه يغريهم بالوهابيين المخالفين في الدين ، والمنابذين للزيديين ، وأن هبوات الزحف اليمانية ، وقسطل سنابك الخيل الزيدية ، ستغشى بلاد الحجاز من الجنوب ، فتتلاقى مع جحافل الحجاز من الشمال ، وتلتف حول هؤلاء

الشراذم من الاخوان ذات اليمين وذات اليسار ، فتحيط بهم من كل مكان ، حتى لا يتفلت منها إنسان — ومن مزاعم المقطم في هذه الجهة أن سلطان نجد لم يدع الامام يحيى الى مؤتمر الحجاز، والحق أنه دعاه ، وأنه أول من أجاب الدعوة ومن جهة رابعة أن العالم الاسلامي سيكون إلبًا واحداً على هؤلاء الوهابية تشيعاً للأسرة الهاشمية ، كما تقتضيه معارف محرري المقطم الاسلامية ، ولا سيما بعد أن اتهمهم الصادق المصدوق الصّديق الملك علي الهاشمي الدستوري وكتاب دعايته بهدم القبة الخضراء ، المظللة لقبر سيد أفضل من أظلت السماء ، وأقلت الغبراء ، صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعلى آله الأصفياء ، وأصحابه الأولياء ، وبهدم قبر سيد الشهداء ، (حمزة رضي الله عنه) الخ

ومن جهة خامسة أن مما انفرد به المقطم دون أجراء دعاة البيت الهاشمي على الاختلاق تلك المواد التي صورها للمؤتمر الذي عقد بين السلطان والجنرال جلبرت كلايتن ومن معه من مندوبي العراق لتسوية الحدود بين نجد وبين العراق وشرق الاردن ، فقد ادعى المقطم أنه وقف على ما تقرر فيها ونشر مواد تنفر العالم الاسلامي من سلطان نجد كذبتها الحكومتان الانكليزية ثم النجدية ، ولكن بعد أن صدقها الكثيرون في الشرق والغرب ونقلتها عنه صحف كثيرة لا يخطر في بال أصحابها ان المقطم تكذب كذبا صريحا في أمثال هذه المسائل التاريخية الرسمية

ويشبه هذه المواد في ظهور كذبها بعد نشرها تلك المواد التي لفقتها ، والشروط التي زورتها ، في شأن تسليم الملك علي للسلطان ابن السعود في جدة ، وكانت إحدى الجرائد ظنت أن المقطم تلقاها من الوكالة العربية فنقلتها وعزتها الى الوكالة فنفاها الشيخ عبد الملك الخطيب وتبرأ منها ، ثم جاءت جريدة أم القرى المكية ناشرة للشروط الرسمية فعلم كذب شروط المقطم الفاضح ، وأنا لا أعتقد أنها لفقت في إدارة المقطم وإنما الراجح أن رجال الملك علي الذين فروا من جدة لفقوهم هذه كما ان مندوب الملك فيصل في مؤتمر بحره هو الذي اختلق لهم شروط

مؤتمر بحرة . وذنب المقطم أنه أباح لهم صفحاته على مايعلم من كذبهم وحمل تبعته بنشره باسمه وجعله من معلوماته الثابتة عنده

ومن جهة سادسة — والجهات الحسية ست — انه كان مثلهم يجمع بين النقائض والأضداد فينشر لهم مايغشون به أمتهم العربية وملتهم الاسلامية من إيهام استقلالهم وعملهم لاستقلال الامة ، وذم الوهابية وسلطانهم ، ثم ينشر بعض الاخبار ولاسيما الرسمية المكذبة لهم ، ويكتم مايمكن كتمانه من التصاقهم بالدولة البريطانية وجعل الحجاز تحت حمايتها حتى أن حسيناً لم يترب بخروجه من الحجاز مذؤماً مدحوراً ، ثم من العقبة ملوماً محسوراً ، وانتباذه في قبرص مغموماً مثبوراً ، وخذلان « العظمة البريطانية » له كأن لم يكن شيئاً مذكوراً ، لم يترب بهذه العاقبة السوءى فظل يأوي إلى ظل ماسماه « مقررات النهضة » من حماية الانكليز لمملكته الوهمية من الداخل والخارج ولا سيما بعض « الأمراء الحاسدين » فكتب إلى رئيس الوزارة البريطانية يعاتبه ويطالبه باخراج ابن السعود من الحجاز ، وقد رد عليه الوزير رداً شديداً ونشر المقطم كتاب الملك المخدوع ورد الوزير عليه . فأين هذا مما كان قد نشره من تصريحه بأن استيلاء ابن السعود على الحجاز آثر عنده من تدخل الانكليز في شؤونه ؟

وكذلك كان فعل ولده علي صرح بمثل هذا التصريح ونشر له المقطم وغيره أقوالا توهم حرصه على الاستقلال المطلق دون الأجانب وتفضيل ابن السعود عليهم ، كما أنه قد ثبت أنه كان يسعى لجعل الحجاز تحت حماية الانكليز رسمياً بشرط أن يخرجوا ابن السعود منه ، سمعنا هذا أولا من الوفد الهندي الذي كان في جدة وقد عرفوه من قنصل الانكليز فيها . ثم سمعناه ممن قدم بعد ذلك من جدة كالدكتور خالد الخطيب الذي كان رئيس مصلحة الصحة عند علي . وثبت أيضاً أنه كان يسعى لرهن جمرك جدة لدولة أجنبية تقرضه مليون جنيه لمتابعة قتال ابن السعود . وثبت أيضاً أن أخاه الملك فيصلا سعى له هذا السعي لدى الدولة البريطانية ، ثم الدولة الفرنسية عند زيارته لهما في الصيف الماضي . وقد خاب السعي لديهما ولدى الدولة الايطالية أيضاً ، ولو تم لكان سبباً لعبث الدولة المتولية

على الجمرك باستقلال الحجاز ، واحتلالها الثغره الأعظم الذي هو مدخل أكثر الحجاج وقد كان كل انتصار لها خذلاناً ووبالاعليها ، ونكلاوفضيحة لها ، وسبباً لخسارتهما أكثر مماجمعا من مال السحت والخيانة .

ونذكر ههنا على سبيل الاستطراد زيارة الملك فيصل عاصمة فرنسة التي طردته من سورية أقبح الطرد في الوقت الذي كانت مدافعها تدمر مدينة دمشق وغيرها لأجل اقناع حكومتها بنصب أخيه زيد ملكاً عليها ، واقناعها بأن هذه هي الوسيلة الوحيدة لتوطيد سلطانها الاستعماري فيها ؟

هـذه جملة موجزة من سيرة الملك العربي الفعال ، وسـيرة ملوك الدعاية القوالين ، وسماسرة الاستعمار الاوربي في البلاد العربية ، ولما نشره المقطم من الدعاية الباطلة لهم ، لخصتها وأوردت بعضها بعبارة شعرية أو كالشعرية لئلا تمج الأسماع قراءتها ، إذا هي ذ[illegible]ت بعبارتها ، بعد أن اطلعوا عليها في أوقاتها ، ونحن نحفظ قصاصات المقطم [illegible]ونة لها . وإنما كتبناها للعبرة بها ، والتحذير من مثلها ، فاننا نرى أن دعاية [illegible]فساد الهاشمية لم تنته بانتهاء أمر الحجاز ، وبلغنا أن رئيس حكومتي حسين وعلي ال[illegible]طين نقل ذلك عن دار المندوب السامي بمصر وأن الملك علياً أعطى بعد وصوله إلى العراق مائة وخمسين ألف جنيه لتنظيم دعاية جديدة فننصح لمن يعنيهم أمر الحجاز من العر[illegible] وسائر المسلمين أن يكونوا على حذر ، ويتكاتفوا ويتعاونوا على وقاية مهد أمتهم ود[illegible]هم من الخطر ، وأن يقارنوا بين تينك السيرتين بالاعمال فانها لا تقبل التضليل كالا[illegible]ال ويفكروا فيما يجب في الحال لحسن العاقبة والمآل

﴿ خاتمة كتاب ملوك العرب لأمين الريحاني الكاتب الشهير ﴾

وهي خلاصة اختياره [illegible]خصي سنة ١٣٤٣ هـ ١٩٢٤ م

رعية الملك حسين تطيعه وتخافه

« ابن سعود « وتحبه

« الامام يحيى « دون حب ودون خوف

« الملك فيصل لاتخاف ولا تحب ولا تطيع إلا مكرهة

فمن من الملوك المذكورين في شبه الجزيرة يستحق أن يسود العرب ؟

فهرست كتاب الوهابيون والحجاز

ص

تم